أوهامُ الأنا اللاهويّة

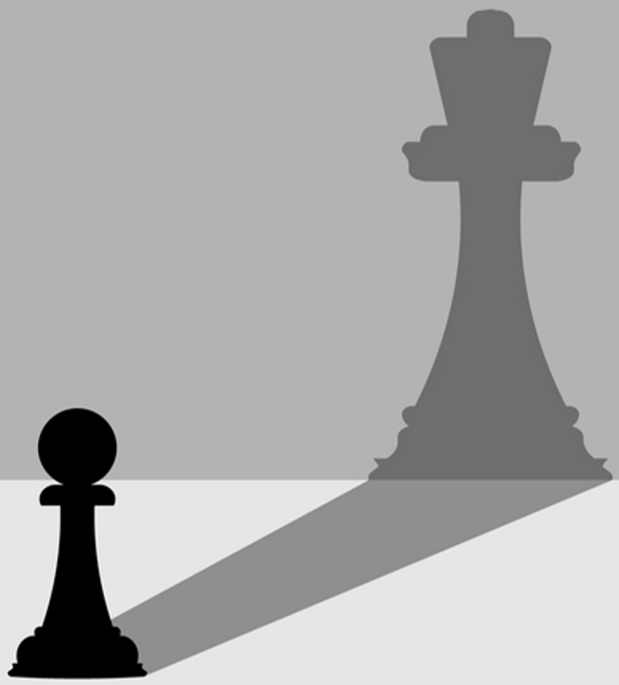

أ.د. عقيل حسين عقيل

2021م

أوهامُ الأنا

(الَّلاهويَّة)

تأليف

أ د. عقيل حسين عقيل

2021م

جدول المحتويات

المقدّمة 4

أوهام الأنا 6

أوهام الشخصنة: 10

أوهام الأنا في دائرة المسئوليَّة: 11

. أوهام البعد الأناني: 16

أوهام العقل: 19

تهيؤ الأنا: 22

(أنا، أنت، نحن): 24

أوهام الشَّخصنة: 32

صِدامات الوهم: 33

صراع الأنا من أنتم؟ 37

الأنا تُقويّض العدالة: 38

صراع الأنا مع الذَّات: 41

صراع الضمير العام: 44

مَنْ يُسائل مَنْ؟ 50

الأنا الواهمة تقوّض الإرادة: 54

الأنيّة فتنة نأمة: 64

الأنا وهمًا في دائرة الفكر:..... 74

العالمُ سيتغير والمستقبل للإسلامِ: 93

سرابُ الوهم: 97

استغوال الوهم:.....109

أوهام دولة الخلافة:.....112

الخِلافُ على وهم الخلافة:.....119

أوهام الأنا العسكريَّة:.....122

كاسرات أوهام الأنا 131

الفِكرةُ حلًّا:.....131

الأملُ حلًّا:.....144

التحدِّي حلًّا:.....147

صدر للمؤلّف.....150

المؤلّفات.....151

المؤلّف في سطور 168

المقدِّمة

أوهام الأنا: إنَّه يرى نفسه كلَّ شيء، أمَّا غيره فلا شيءَ، وشعاره: أنا ومن بعدي الطّوفان، فالأنا شخصيَّة مزاجيَّة متقلِّبة يصعب عليها دخول ميادين المنافسة وقبول التحدِّي، ولا ترى صُنع المستقبل وإحداث النُّقلة إلَّا خيالًا ووهمًا وضياعًا للوقت.

ومع أنَّ عقل الأنا وتفكيره يتمركز على رؤاه الخاصَّة فإنَّ مفهوم الأنا عندما يتمركز على الاعتزاز بالهويّة الوطنيَّة ورفعة المكانة الاجتماعيّة يُصبح فيه من موجبات الكبرياء ما فيه، ومن هنا يصبح الاعتزاز بالنفس صفة عامّة، وبخاصّة عندما يصبح لسان حال الأنا (أنا الوطن، أنا الحقوق تمارس، أنا الواجبات تؤدّى، أنا المسئوليَّات تُحمل)، وفي المقابل تسود صفة الأنانيّة والشَّخصانيّة على حساب الذّات العامَّة عندما تكون نظرة الأنا: (فَليَمُتْ الجميع من أجل أن أعيش).

ومن هنا أقدِّم هذا المؤلّف: أوهام الأنا (اللاهويَّة) للقراء والنُّقَّاد الكرام؛ للتَّفحص الذي يمدّ البحَّاث والمتعلِّمين وأهل الفكر بالمزيد المعرفي ويُحصِّنهم مِن اللعب في ميادين التّيه؛ وذلك بما يمدّوني به من معلومات صائبة تُمكِّن من تصحيح المعلومات الخاطئة وتُلفت المهتمِّين إليها.

ولأنَّ الوهم لا يكون إلَّا في مواجهة الحقيقة؛ فلا أنا إلَّا وهو في مواجهتها والتضاد معها، ولأنَّ حياة الأنا وهمًا؛ فلا مستقبل له إلَّا سرابًا.

ومن هنا فالشخصيَّة الأنانيَّة لا يراها النَّاس إلَّا في دائرة السَّلبيَّة، وهي كذلك بالتمام؛ كونها لا تعطي أية قيمة لأحدٍ وإن عظم شأنه: خُلقًا، وعلمًا، ودرايةً، ومعرفةً، وتقوى.

شخصيَّة لا تقبل الرَّأي الآخر، ونفسها تضيق من النَّقد البنَّاء متى ما وُجِّه إليها، وسؤالها الرَّئيس في مواجهة الغير:

–من أنتم؟

شخصيّة لا تدري وتعتقد أنَّها الدَّارية، ولا هويَّة لها إلَّا (الأنانيَّة) التي بها تشخصن كل شيء.

ولأنَّ الأنانيَّة والشَّخصانيَّة لا تكون إلَّا عن انفلات من تلك الفضائل الحميدة، والقيم الخيِّرة، والتَّربية الضَّابطة للأخلاق والسُّلوك، فإنَّ الأناني لا يُمكِن له أن يستشعر أهميَّة الهويَّة وهو المنفلت عنها والمنحرف، ومن ثمَّ فالأناني لا يقدِّر أية هويَّة، ولا يقدّر المعتزِّينَ بها، وكذلك لا يقدِّر المتمسِّكين بالمكانة الاجتماعيَّة والوطنيَّة والأخلاقيَّة.

أ د. عقيل حسين عقيل

2021م إسطنبول

أوهام الأنا

مع أنَّا الأنا فيه من الاعتزاز بالنفس والاعتزاز بالهويّة ما فيه فإنَّ التمركز عليه وكأنَّه قلب العالم فيه من الشخصنة والأنانيَّة ما فيه أكثر، ومن هنا يصبح الوهمُ جاثم على عقل الأنا، ومَن يشكِّل الوهم قناعة عنده يظل واهمًا إلى وقت متأخر قد تضيع فيه فُرص الصّحوة والعودة إلى المعرفة الواعية بما يجب الإقدام عليه وما يجب الإحجام عنه.

ومع أنَّ الوهم يؤدِّي إلى تطويع العقل وانقياده إلى الاتجاه الخطأ فإنَّ المتمسّكين به كُثر، فتراهم في مواضع الخلاف يندفعون به وهمًا، وفي ظنهم أنَّه سيتحقّق لا محالة.

ولذا يعد كل ما يُغيِّب العقل عن معرفة الحقيقة وكشف الزّيف عنها وهمًا، ودائمًا حال الوهم من الحقيقة كحال الكذب من الصّدق، وحال السَّراب من الماء، ومعظم الواهمين إذا ما أتيحت لهم فرص الاختيار فلا يرون من الألوان إلَّا أحد اللونين: (الأسود أو الأبيض)، وكذلك هكذا حال المتأدلجين الذين لا يرون إلَّا بعين الغير الذي أوهمهم بأنَّ أعينهم لا ترى صوابًا، ومن ثمَّ فهم في حاجة لسلامة عينيه التي ترى دون غيرها كلّ شيء بما فيها شئونهم؛ وبهذا يُسلِّمون أمرهم إليه وهم يعتقدون أنَّه لا مستقبل لهم إلَّا المستقبل الذي يرتضيه، ويوجّههم إليه، مما يجعلهم كالأوراق المسحوبة نسخة واحدة (إنَّها أوراق الوهم).

ومن ثمَّ فمن يقنع نفسه بأنَّه البطل، أو العالم، أو الزّعيم، أو القائد، أو الخليفة فهو لا شكّ أصبح يعيش حالة من الوهم، ومع ذلك فقد يصدّق البعض ادعاءاتهم وأوهامهم وأخصُّ بالبعض: (الذين هُزموا في معارك سابقة،

أو ضاقت بهم الدُّنيا بما رحبت، أو من تكون لهم أوهام مرجوة) فيتعلقون بمثل هؤلاء وكأنّهم المنقذ، فيضحُّون بمستقبلهم من أجلهم، حتى يقبرهم الوهم واحدًا واحدًا، أو ينعم الله عليهم بغضبٍ يقلب الطّاولات على رؤوس الموهِمين، أو أن تلد لهم الأرض طفلًا مثل ذلك الطفل الذي رأى الملك عاريًا؛ حيث يُحكى: أنَّ أحد الملوك خدعه خيّاط محتال وأقنعه بأنَّه سيصنع له ثوبًا سحريًّا عظيمًا لا يراه إلا الحكماء. اقتنع الملك بمهارة الخياط المحتال فظهر على وزرائه من على شرفة القصر المطلة على الحديقة عاريًا تمامًا، وقال: انظروا ما رأيكم في هذا الثّوب السّحري الذي لا يراه إلّا الحكماء؟! فخاف الوزراء من غضب الملك فقالوا وكأنَّهم يقرأون أنشودة سبق لهم وأن حفظوها: إنَّه ثوب عظيم يا مولانا، وأضاف بعضهم: لم نر في حياتنا أجمل ولا أروع من ثوبك هذا، ولكن المفاجئة جاءت من طفل كان من بينهم في حديقة القصر، فقال ببراءة: أين هو الثّوب الذي ترونه؟! ثمَّ صاح بأعلى صوته: إنّي أرى الملك عاريًا... إنّي أرى الملك عاريًا.

هكذا هي بالتمام حقيقة التُّبع والذين تأدلجت عقولهم بأوهام وأفكار لا تَمتُّ للحقيقة بصلة، وجميعهم ينطبق عليهم: (إني أرى الملك عاريًا)؛ ولهذا دائمًا الوهم مخالف للحقيقة، ومن ثمَّ يجب أن يُكسر الوهم قبل أن يجعل من الأسوياء معاقين.

إذن: فالتأدلج وهم يجعل من المتأدلجين أدوات مسخّرة بأيدي كبير الواهمين، والواهم أوّل ما يوهم نفسه بأنّه يفهم أكثر من غيره، ويعلم أكثر من غيره، ومن ثمَّ على الغير اتباعه وطاعته وإلّا فهم في ضلال، ولا منقذ غيره، فيتظاهر وهمًا أنَّه الزّعيم، أو القائد، أو المنقذ، أو المفكّر، وعندما

يستشعر أنَّه في أعين البعض يبدو كذلك يزداد في تصنّعه قائدًا أو زعيمًا أو مفكّرًا حتى يثبت بحق أنَّه الواهم.

وعليه: فالوهم تضخيمٌ للأنا الذي يبلغ الحال به وهمًا أنَّه لا يرى مركزًا للعالم إلَّا هو دون غيره، ومن ثمَّ يرى وجوب دوران العالم من حوله دون سواه، وبهذه الحالة لا فرق بين الواهم والكاذب الذي يعرف حقيقة نفسه أنَّه يكذب، ومع ذلك عندما يجد النَّاس تستمع له فيصدّق وكأنَّه الصَّادق، ولهذا فالمصدّقين لما يقال من دون تبيّن ولا امتلاك شجاعة مثل شجاعة ذلك الطفل سيظلون واهمين بلا إرادة، وسيظلون في حاجة لمن يساعدهم على كسر ما ألمَّ بهم من وهمٍ؛ ولذا لا يكسر الوهم إلَّا بإظهار الحقيقة وكشف الزّيف عنها.

ومن ثمَّ علينا أن نميّز بين حقيقةِ: أنَّنا نحلم، وحقيقة: أنَّنا لا نصدّق أحلامنا (لا نصدق ما نراه يجري أثناء نومنا، ولا نأخذ بما جاء فيه) ومع ذلك لا نستطيع أن ننكر حقيقة السُّؤال القائل:

لماذا لا نشك في أنَّنا نحلم، ونشك فيما نحلم به؟ أي: بما أنَّنا نحلم يقينًا وحقيقة فلماذا لا تكون أحلامنا هي الأخرى حقيقة ينبغي الأخذ بما يورد فيها؟

أقول: مع أنَّ ما يجري في أثناء النّوم حُلمًا حقيقيًّا فإنَّه لا يزيد عن كونه حقيقة نائم؛ ولأنَّه كذلك فالواهم بأنَّ الصواب في أحلامه صدقًا لا يزيد عن كونه لا زال نائمًا، ومن يأخذ بما حلم به فلن يجد أمامه بعد الصّحوة واليقظة إلّا سرابًا؛ ولهذا قبل أن يُوهم نفسه ويقنعها بذلك ينبغي

أن يُنصح بحقيقة أحلامه؛ كي لا يسكب الماء الذي بين يديه بغاية أن يشرب من السَّرابِ ماءً.

والوَاهمُ، هو من يوهم البعض عن قصدٍ بأشياء لم تكن من أصل الأشياء، فيغيِّب الحقيقة عنهم ويحجبها ببدائل مزوَّرة، ويدّعي أنَّها ذات أصلٍ، وبهذا يكون سببًا في تغييب العقول عن معرفة الحقائق من خلال تزويره للمعلومات الصَّائبة بالمعلومات الخاطئة؛ ولذا فالواهم هو من أظل نفسه وأظل غيره بما لا حقيقة من ورائه.

أمَّا الموهومُ: فهو من يثق فيما يقال أو يُكتب دون أن يخضعه للتحليل والقياس والتقصّي، ولا يوصف بهذا الوصف إلّا من حُجبَ عقله عن معرفة الحقيقة بمعلومات مضلّلة وهو لا يدري أنَّها كذلك؛ فَيُسلِّم بها، وقد تجعله على عقيدة بها تنكسر الحقائق ولا ينكسر وهمه.

ولهذا فمن يعتقد أنَّه مصدرٌ للحقيقة فهو واهم، ومن يدّعي ذلك فهو في حاجة لمن يوقظه من الوهم الذي ألمَّ به، وغيَّبه عن معرفة الحقيقة، التي لا تستمد إلَّا من الحقِّ وحده.

ومع أنَّ معرفة الحقيقة وتجلّياتها ذات علاقة بالفِكْر فإنَّها كذلك ذات علاقة بالواقع، فالواقع عندما يكون متقدّمًا على الفِكْر ينبغي أن يغَّير الفِكْر؛ كي يواكب الواقع الذي تقدَّم عنه، وفي المقابل عندما يكون الفكر متقدّمًا على الواقع ينبغي أن يغَّير الواقع؛ كي يواكب التطلّعات الفكريّة السَّاعية إلى بلوغ الغاية التي من ورائها مأمولات إنسانيَّة عظيمة.

أمَّا الموهمُ به: فهو ما يُوعَدُ به من قِبل الواهِم للموهوم في حالة ما إذا تحقق الوهم؛ ولأنَّه الوهم فلا إمكانيَّة لتحقّقه أو بلوغه ونيله، ولكن يظل الواهِم موهومًا به حتى النهاية ما لم يكن من بين الموهومين طفلًا يرى الملك عاريًا، أو أن يحدث الله أمرًا.

والموهوم به يُمكِن أن يكون وظيفة أو منصبًا رفيعًا، أو مكافئة ماليّة، أو وهمًا لا تنطبق عليه أيّ صفة من الصّفات، ومع أنَّ الوهم هو الواهم، فإنَّ الواهم عندما يكون آمنًا تختلف وعود أوهامه عمّا إذا كان في مواجهات مع الخصوم؛ فالأولى لا تكون إلَّا محدودة، والثانيّة لا تكون إلَّا مضخَّمة، إضافة إلى الوعد بالوهم الواحد لأكثر من شخصٍ واحد؛ كأن يَعِد الحاكم أحد أتباعه برئاسة أركان جيوشه بعد أن يتحقق النَّصر، ثمَّ يَعِدَ بذات الوظيفة والدّرجة ثانٍ، وثالث ومن بعده رابع.

أوهام الشخصنة:

الشخصنة مستوى من مستويات الشخصيَّة الأنانيّة التي لا تفكر إلَّا فيما يُفيد الأنا، حتى ولو كان على حساب الآخرين، إنَّها الشخصيَّة التي لا تعطي للحياة أيّ معنى، والوجود بالنسبة لها وكأنَّه هكذا لا يخضع لقوانين عقلية ولا إلى قواعد ثابتة، توصف هذه الشخصيَّة بالعبثيَّة، وغير المبالية، تطالب بحقوقها وتتهرّب عن أداء واجباتها ولا تتحمّل المسؤوليّة الواجبة عليها. علاقتها مع الدين علاقة قسرية، وليس بإرادة واعية، وجدت نفسها قد شبّت على دين معين فلا ترى غير الاتباع، حتى لا تكون في حالة من الاستنكار العام، وكأنَّ الدين قد فُرض عليها كرهًا، فلا تتبع تعاليمه قناعة وإيمانًا، تود أن تُترك في سبيلها لتفعل ما تشاء مثلما تشاء، وسعادتها في

المادّة، فعندما تمتلك بغض النظر عن الأساليب التي تمتلك بها تَسْعُد، تقيّم الأمور بما يعود عليها من منافع ومكاسب مادّية، وفي قاموسها الجمال لا يعني شيء، والعلاقة به عابرة تمر به مرّ السَّحاب، قدراتها المعرفيّة لا تمكّنها من التمييز بين الجمال والجميل، الفن بالنسبة لها مضيعة للجهد والوقت فتستهجنه، وكأنَّه لا يعني شيء، إنَّها الشخصيّة الوصوليّه التي تمثل الأدوار المختلفة، تنافق الآخرين في سبيل مصلحة الأنا، معتقداتها ضعيفة تقترب من الطبيعة حتى لا تغضب عليها، وتعتقد أنَّ تقرّبها منها ينجيها من غضبها.

أوهام الأنا في دائرة المسئوليَّة:

الأنا إثبات وجود موجب عندما تتماثل فيه ممارسة الحقوق مع أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليّات، وإذا لم يتم التماثل الموجب، تصبح الأنا في منعرج السُّلوك الأناني الشّخصاني الذي يُقيّم الأمور من زاوية تحقيق المنفعة التي تعود عليه بغض النظر عمّا يصيب الآخرين من ضرر (المهم أنا).

ومن الزَّاوية النظريَّة فلكل أنا حقوق وواجبات ومسؤوليَّات، ومن الزّاوية الفعليَّة قد لا يمتلك الأنا من ذلك شيئًا، ومن ثمَّ يفر الأنا إلى ما يُمكّنه من ممارسة السُّلوك الأناني والشّخصاني كرد فعل، وليس دائمًا الأنا يسلك أو يفعل نتيجة ردود أفعال سالبة، في بعض الأحيان يمتلك الأنا كل الحقوق والواجبات والمسؤوليَّات المتعلّقة به ثم يمتد على حساب ما يمتلكه الأخرين، إنَّه الأنا الطّامع والفاقد لقيم الاعتراف والتقدير والاعتبار للغير.

وتؤكد العلوم الاجتماعيَّة بأن الإنسان اجتماعي بطبعه، ولهذا لا يستطيع الاستغناء عن المجتمع الذي يولد فيه أو ينتمي إليه نتيجة قدراته واستعداداته المحدودة، التي لا تمكِّنه من الاعتماد على نفسه كاملًا، بل

جعلته في حاجة ضرورية للحماية والمساعدة والتعاون والتآزر من أجل البقاء، وإذا تمكّن الإنسان من معرفة حدوده وأسباب وجوده وما يحيط به، ولم يتجاوز ذلك حينها يكون فردًا متفاعلًا إيجابيًّا.

ولسائل أن يسأل:

لماذا يودّ البعض أن يُظهِر شخصانيَّته وأنانيَّته على حساب المجتمع الذي ولد فيه وهو يعرف نفسه كإنسان قاصرًا عن العيش بمفرده وبمنعزل عن بنى جنسه؟

أقول: إنَّ السبب هو وجود الفروق الفرديَّة، التي جعلت لكل فرد من بني الإنسان طابعًا يميزه عن غيره، وكذلك لا ننسى وجود المظالم التي تمتدّ لتلاحق مجالات العلائق القيميّة وتضع القيد عليها، وإلى جانب هذه وتلك لا ننسى أثر المعلومات والمعارف التي يتشرّبها الأنا أثناء فترات نموه الزّمني ونموه المعرفي، ومن ثمَّ فالإنسان بطبيعة الحال لا يتكرر في خلقه، ولا يمكن أن يكون نسخة لغيره أو يكون غيره متطابقًا معه في قدراته واستعداداته ومواهبه وطموحاته ولا حتى في بصمة أصابعه ونسيج جسده، مع أن البشر جميعهم مخلوقون من نفس واحدة كما قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ}[1].

إذن: لماذا يرتكب الإنسان الأفعال والأعمال الأنانيّة وقد خُلق ضعيفًا؟ وعلى من يستعرض قوَّته وهو الضّعيف؟

[1]. سورة الأنعام، الآية 98.

مع أنَّ طبيعة البشر ومستويات تفكيرهم تمكّنهم من بلوغ الحقّ بلا تردد فإنَّهم أيضًا بها أنانيّة يتمكّنون من بلوغ درجات التحايل والخداع وبخاصّة إذا عرف الأنا أنَّ الآخر في حالة وهن وضعف؛ ولذا فالأناني لا يتمرّد إلَّا على الغلابة، وفي المقابل الشخصيّة الموضوعيَّة لا تتمرّد إلَّا على الباطل، ومن هنا تستطيع أن تواجه الحكومة الظّالمة.

ومما تقدَّم يمكن التمييز بين الذّاتين المتمرّدتين، الذّات المتمرّدة على الغلابة سلوكها وأفعالها القيميّة سالبة، والذّات المتمرّدة على الحكومة الظّالمة سلوكها وأفعالها القيميّة موجبة؛ ولذا لا يُعد كل تمردًا سالبًا.

وهكذا تعدّ الذَّات المنسحبة من ميادين أداء الواجبات وتحمّل المسؤوليَّات ذات سلوكيات وأفعال سالبة، وفي المقابل الذات المتقدّمة لأداء الواجبات والمسؤوليَّات أفعالها موجبة، وعليه: فالإنسان الذي عصى الله الذي خلقه لا يُستغرب منه أن يعصى المجتمع الذي لم يخلقه، أو أن يعصي أفراد منه، إنّها الأنانيَّة والشّخصانيّة التي عندما تسود أفعالها تُنسي الإنسان معرفة من هو؟ ومن الذي خلقه؟ ولماذا خلقه في حاجة لمن يقوم برعايته؟

ولذا إذا تمسّك الفرد بأناته ولم يتخطَّ حدودها (حدود أنا ليّ حقّ وواجب ومسؤوليَّة أتمسك بها ولا أرغب الامتداد إلى ما هو خارج عنها) فإنَّ ذلك يعني أنَّه تمسّك بقيمهِ التي يُقرّها المجتمع، القيم التي جعلت منه ذات على المستوى الفردي، أمَّا إذا تجاوز هذه القيّم وحدودها الاجتماعيّة والأخلاقيَّة فيدخل في منطقه النزاع مع الآخرين المدافعين عنها باعتبارها حقًّا لهم، ومن هنا يبدأ الصّراع بين الممتد خارج حدوده والمندحر داخلها؛

ولذلك تتكوّن الأنانيَّة أو الشخصانيَّة عندما يطمع الفرد في حقوق وواجبات ومسؤوليّات غيره، أمَّا إذا تمسّك بحقوقه وحَبَّ أناته ولم يتجاوزها فإنَّ ذلك يعنى: أنَّه لم يكن أنانيًّا أو شخصانيًّا، بل إنَّه الإنسان المثال الذي يتوحّد المجتمع فيه فيجعله اجتماعيًّا بطبعه.

وعليه: تعتبر القيم العنصر الأساسي الذي يميّز سلوك الإنسان الأناني أو الشّخصاني عن سلوك الإنسان الذّاتي أو الاجتماعي، فإذا كان تقييم الفرد للأشياء المشتركة بمنظور كل شيء أنا، كانت أفعال الفرد أنانيّة وسلوكيّاته شخصانيّة، وإذا كان التقييم للأشياء والظّواهر بمنظور المجتمع كان الفرد اجتماعيًّا (ذاتيًّا)، وإذا كان تقييم الأشياء بمعطياتها كما ظهرت في الموضوع كان الفرد موضوعيًّا؛ ذلك لانَّ الأنا قد تنفصل عن الموضوع، أمّا الذّات الموضوعيَّة فإنّها ترتبط به.

والانا كعنصر مستقل تعنى: الفرديّة كبؤرة اهتمام، وعندما ترتبط بالموضوع دون اعتبارًا للآخر تصبغه بطابعها فتصبح هي الأنانيَّة (الشخصانيَّة)؛ وذلك لظهور نواياها الخاصّة أو أطماعها الخاصّة سواء أكان هذا الطابع فرديًّا أم أسريًّا، أم قرابيًّا، فإذا كانت المصلحة فرديّة، كان الأنا فرديًّا، وإذا كانت المصلحة أسريّة أو قرابيّة، كانت الأنانيّة بإظهار الأنا لها على حساب الآخرين؛ ولذلك لم تتكون الأنا من حبّ الذّات كما يعتقد البعض، بل تتكوّن من الانعزال عن الذّات والموضوع نتيجة التحيّز الشّخصاني الذي يُظهر الأنانيّة.

وبناء عليه إنَّ التحليل العلمي الذي يتأثر بالأنا الطَّامعة المنعزلة عن الذات والموضوع، هو تحليلًا شخصانيًّا أنانيًّا لا يقرّه العلم ولا تقرّه القيّم الاجتماعيّة والإنسانيّة؛ ولذلك يحدث ما يسمى بحوار الذّات الذي تثيره الحاجة وتدفعه الأماني، فإذا تجاوز الأنا حوار الإشباع وفقًا للحاجة، كان الأنا شخصانيًّا، وإذا التزم بحدود الإشباع كان الأنا ضمائريًّا وموضوعيًّا.

ولذا فالأنا لم تكن عيبًا إذا لم تتجاوز حدودها على حساب الآخرين، بل ينبغي التمسك بها كطابع مميّز بين الأفراد والجماعات والمجتمعات، فكل (أنا) خُلقت متميّزة عن غيرها ومن ثمَّ لا يُعد التمسّك بها عيبًا، وبما أنَّ كل (أنا) متميّزة عن غيرها بخصوصيّاتها، إذن: الكل متميز عن غيره بما يمتاز به، والتمسّك بالميز يعنى: التمسّك بالقيم الخيّرة والأفعال الحميدة، ومع أنَّ الأنا واحدة فإنَّ أدورها متعدّدة، فأنا الفرد تختلف عن أنا الأسرة أو الجماعة، وأنا المجتمع تختلف عن أنا الأمّة، أو أنا الوطن، أو أنا الإنسان، فعندما أكون أنا الإنسان تكون القيّم الإنسانيَّة هي التي يحتويها ضميري وتمارسها أفعالي وسلوكيَّاتي؛ فالقيّم الإنسانيَّة لم تكن ملكيّة فرديَّة، بل ملكيّة عامّة تتجسّد في الفرد حتى يصبح إنسانيًّا بطبعه؛ ولذلك عندما تتجسّد الأفعال الإنسانيَّة في سلوك الفرد وأفعاله يصبح الفرد وكأنَّه الإنسانيّة بحالها، وتوصف حالته بالموضوعيّة، وإذا لم تتوحّد الإنسانيّة في أفعاله وسلوكيّاته قد تتوحّد فيه أفكار وأفعال على مستوى آخر قد يوصف مرتكبها بالمنطقي أو الإنسحابي، أو الذّاتي أو الأناني.

ويكون الفرد أنانيًّا بخروجه عن حدود (أنا الواثقة) نتيجة مصلحة خاصّة، أو طمع في شيء هو حقّ لغيره، وتكون ألانا الخيّرة هي التي تقف

عند حدودها ولا تمتد طمعًا في السّيطرة على غيرها، وتوصف بأنَّها مثال ينبغي الاقتداء به، وعليه ينبغي أن تسيطر كل أنا على أناتها حتى لا توصف بالهامعة الطّامعة، وعندما يسيطر كل فرد بإرادة على أنانيّته وشخصانيّته ويصحح عيوبه ويسلك كما يود للآخرين أن يسلكوا تجاهه ويحب لنفسه كما يحب لغيره فإنَّ ذلك يجعله على صفة المجتمع بأسره، وتصبح الذّاتيّة هي الشخصيّة السّائدة بين أفراد المجتمع وجماعاته.

وعلينا أن نميّز بين الأنا وأفعالها، والأنانيّة وأفعالها، في الأنا كبرياء الذّات وأنفتها نتيجة التزامها بقيّم المجتمع سواء على المستوى المحلي أم العالمي، وفى الوقت ذاته فالأنانية فيها نتيجة الطمع والتعصب للباطل والحياد عن الحق.

إذن: الذي يحدد السُّلوك الأناني أو الذَّاتي هو الإطار المرجعي، فإذا كان الإطار المرجعي أنانيًّا ذا اتجاهات سالبة يظهر دور الأنا على حساب قيم المجتمع أو الأمّة الفاضلة فيوصف السّلوك بالأناني، وإذا كان الإطار المرجعي جماعيًّا أو مجتمعيًّا موجبًا فيظهر دور الذّات المستوعبة لطموحات الأنا من خلال القيم المشتركة بين أفراد المجتمع.

ـ أوهام البعد الأناني:

الوهم هو ما يسيطر على عقل الإنسان ويقوده إلى ملاحقة السَّراب الذي يظنه ماءً، والأمور فيه تقيّم من خلال الأنا بغض النّظر عمّا ينبغي أو ما يجب أن يكون؛ ولذا فالبعد الأناني بعد غروري؛ وذلك نتيجة ضعف النّفس وطمعها وتمركز تفكيرها على ما ترغب وتشتهي في يومها الذي هي فيه دون أن تولي اهتمامًا ليوم الغد (تنظر للحاضر ولا تلتفت إلى المستقبل).

ومن هنا فالشخصيَّة الأنانيَّة لا تُقدّر إلَّا نفسها، ولا تعتبر الآخرين، فهي لا تعترف بحقوق الغير، الحياة ضيقة في نظرتها، تُقيّم الأمر بنظرتها ولا تقبل بمشاركة الآخرين، ولا تتفاعل معهم، تعشق صورتها حتى ولو كانت على الماء، تبتسم معها وتحاكيها وكأنَّها تتكلّم، تَقدِم على الانتحار من أجلها ولا تقدم على مساعدة سواها؛ ولذا النرجسيّة الشخصانيَّة هي الإفراط والمبالغة في تقدير الأنا واعتبارها، ثمَّ أنَّها تسعى لأن تفرض روها على الذين هم في محيطها، شخصيَّة مخادعة غير واضحة المعالم، سيرتها لا تخرج عن أنا من ساعة المرض إلى ساعة الشّفاء، علاقاتها صفريّة (لا وجود للعلائق الإنسانيّة في طبيعتها)، في حياتها غير المنتجة اتكاليّة، المجتمع بالنسبة لها هو المسؤول عن إشباع حاجاتها وهي غير مشاركة له في شيء.

إنَّها الشخصيَّة التي تطالب بحقوقها وتتهرّب عن أداء واجباتها ولا تتحمّل المسؤوليّة (شخصيَّة اتكاليّة) علاقتها مع الدين علاقة قسرية وليس بإرادة واعية، وجدت نفسها قد شبّت على دين معين فلا ترى غير الاتباع حتى لا تكون في حالة من الاستنكار العام، وكأنَّ الدين قد فُرض عليها كرهًا، فلا تتبع تعاليمه قناعة وإيمانًا، تود أن تترك في سبيلها لتفعل ما تشاء مثلما تشاء، ولا سعادة لها إلَّا في المادّة، فعندما تمتلك بغض النظر عن الأساليب التي تمتلك بها تَسْعُد، تقيّم الأمور بما يعود عليها من منافع ومكاسب ماديّة. في قاموسها الجمال لا يعني شيء والعلاقة به عابرة، تمر مر السحاب، قدراتها المعرفيَّة لا تمكّنها من التمييز بين الجمال والجميل، الفن بالنسبة لها مضيعة للجهد والوقت فتستهجنه، وكأنّه لا يعني شيء، إنَّها الشخصيَّة الوصوليّة التي تمثّل الأدوار المختلفة، تنافق الآخرين في سبيل

مصلحة الأنا، معتقداتها ضعيفة تقترب من الطبيعة حتى لا تغضب عليها، وتعتقد أن تقربها منها ينجيها من غضبها.

الشخصيّة الأنانيّة لا ترتقي نفسيًّا إلى حب الآخر، تنظر لأناتها وكأنَّها العالم بأسره، فلا تعتقد أن يكون شيء خارجها أفضل منها، تعتقد فيما تسلك ولا تعتقد في سلوك الآخرين، لا يمكن أن تكون قادرة على القيادة، بل أنَّها الشخصيّة التي تقاد دون أن تعرف، فهي تبعيَّة لعدم قدرتها على استيعاب الحدث، وكأنَّ الأمر لا يعنيها في شيء، تقبل باستبداد السياسة التي ترى أن تكون مركزية بيد الحاكم من يكون، وفي مقابل ذلك لا ترى مانعًا في منافقة السُّلطة، تقضي يومها بين حالة الشّكر وحالة الذّم، وكل حسب الظّرف والموقف الذي هي فيه، إذا كُلِّفت بمهمة أو وظيفة تميّزها في أحد المراكز لأية أسباب، فلا ترى في الموقع إلا للتّعالي والتسلّط على الغير، مما يجعلها في حالة فقدان توازن، وهي تعتقد أنَّها في حالة تشريف ولا مثيل لها.

ومن هنا فهي الشخصيَّة المتعصّبة لوجهة نظرها وأفكارها وهي دائمًا في حالة انحياز لرغباتها؛ ولذا فلا تتمكّن من تكوين علائق على مستوى المجتمع الإنساني، والوطن بالنسبة إليها مكانًا للعيش في حالة ما إذا توافر الأمن فيه، وفي المقابل تبتعد عنه كلّما تعرّض للخطر، أو أنعدم الاستقرار فيه؛ ولهذا تعيش هذه الشخصيّة حالة من الجفاء مع المجتمع المحلي، وعلاقاتها الأسريّة في حالة صدام واضطراب مع أفراد الأسرة، تحب السّيطرة على الزّوج وقد لا تتمكّن نتيجة الصّراع الدّائر بين أفراد الأسرة، وتعتبر في الكرم تبذير ليس إلَّا، والبخل بالنسبة لها لا عيب فيه نتيجة لاختلال معاييرها ومقاييسها

القيميّة، ولا تصادق إلا لأجل مصلحة، أما غير ذلك لا ترى في الصّداقة أي فائدة، وعلاقتها بالجنس الآخر علاقة دونيّة.

أوهام العقل:

العقل حيويَّة استشعاريَّة تتمدَّد تجاه المشاهد والمجرَّد، حتى تلامس كلًّا منهما ولا تفارق، فتستقرئ ما بينهما من علاقة، ثمَّ تستنبط منهما الفكرة لتولِّد منها فكرة تميِّز بها بين ما يجب وما لا يجب.

ووفقًا لتعريفنا هذا فإنَّ العقل يميِّز بين ما هو مسيَّرٌ فيه، وما هو فيه مخيَّرٌ، ومن ثمَّ يميّز بين معرفة: (المعجز، والمستحيل، والممكن)، ما يجعله يفكِّر في دائرة الممكن دون أن تستوقفه إشارة (قف) حتى بلوغ الخوارق، وفي المقابل استشعارًا يسلِّمُ بالمعجز، ويقف عاجزًا أمام المستحيل.

وبما أنَّ العقل حيويّة التمييز استقراءً واستنباطًا، فهل العقل في حاجة لرقيب؟ أم إنَّه ليس في حاجة؟

مع أنَّ العقل كما سبق تعريفه وتبيانه هو حيويَّة التمييز؛ فإنَّه في دائرة الممكن اختيارًا يُمكِن أن يكون رقيبًا، ويُمكِن أن يكون في حاجة لرقيب، أي: في حالة ما غلب الوهمُ عليه، فهو في حاجة لرقيب يلفته إلى ما يجب، أمَّا إذا كان على الحقيقة دراية فهو ليس في حاجة لرقيبٍ.

ولمتسائل أن يتساءل:

بما أنَّ العقل رقيبٌ، ألا يكون قيدًا على الرَّغبة والشهوة وممارسة الحريَّة؟

نعم أنَّه رقيب ضابط، ولكن السؤال هنا متعلِّق بالضوابط القيميّة وفقًا لكل عرف، ولكل دين، فالعقل يُمكِّن من معرفة المحرم والمجرّم والمجاز، وما

يجب الأخذ به وما يجب الانتهاء عنه، ويترك لك حريَّة الاختيار؛ ولذا فالعقل لا يمنعك عن شيء فيه مطلب شهوة، أو رغبة، بل الأديان السَّماويَّة، والأعراف الاجتماعيَّة، والدَّساتير والقوانين الوطنيَّة المنظمة للعلاقات هي التي تجيز أو لا تجيز، تبيح أو تحرِّم.

ولهذه العلل والقضايا يجد الإنسان نفسه بين دراية وحيرة، درايةٍ تُمكّنه من اتخاذ القرار وعيًا، وحيرةٍ تستوجب العودة إلى العقل بغاية استقراء المحيِّر.

ومن هنا نقول:

لا تؤمن إلَّا بعلم يقين، ولا تأخذ إلَّا بعين يقين، ولا تسلِّم إلَّا بحق يقين.

ولأنَّ العقول مصدر ولادة الفِكرةِ وصوغ الفِكْر فهي بين هذا وذاك ترشد تارة وتضل أخرى، وفي وقتٍ تنهض، وتنكمش في وقتٍ آخر وتركن إلى ما تألفه ولو كان وهمًا.

فالعقول عندما تستمدّ القوّة وتستشعر الحيويّة أمام منكمشٍ تزداد تمدُّدًا وتوهمًا على حسابه، وستظل تتمدد حتى يكتسب من كان التمدد على حساب الثقة في نفسه، ويستمد القوّة فيرفض أيّ تمدد على حساب حياته، وراحته، وأمنه، ورزقه، وشرفه، ودينه، ووطنه، ومع ذلك لا إمكانيَّة للمواجهة بوهم الرّفض، بل المواجهة بامتلاك القوّة المرهبة للتمدُّد على حساب الغير.

ومع أنَّه لا يبدو عند العموم وجود وهمٍ مع الاستنارة فإنَّ كثيرين من المستنيرين يصحبهم وهمٌ كبيرٌ؛ فالأفراد والشُّعوب والأمم عندما تعظم قوَّتها

تفقد مفاتيح السّيطرة، فتفعل ما لا يفعله مستنيرٌ، ولهذا فالأنظمة ورؤوسها التي ترى أنَّها قد سيطرت قوَّة على الأمور السياسيّة والاقتصادية والاجتماعيَّة في البلاد تعد واهمة إن لم تحسب لشعوبها ألف حساب، فالشُّعوب عندما تستشعر إنَّها مجرد قطيع، والوطن أصبح وكأنَّه مزرعة للحاكم وأبنائه، أو قبيلته، أو حزبه ترفض، وتتمرَّد، ثمَّ تثور حتى تقلب الطاولات على رؤوس من ترأسوها.

وهكذا الدِّول هي الأخرى عندما تعظم توهمًا بقوَّتها تفقد مفاتيح السّيطرة طمعًا، فتتمدّد على حساب حدود دول الغير، فتقيّد الحريَّات، وتنهب، وتسلب، وتحرّم، وتحلل، وتسجن، وتقتل ظلمًا وعدوانًا؛ فمثل هذه الأساليب والسُّلوكيّات والمعاملات لا شكّ أنَّها بذور الكراهيّة التي تُبذر في نفوس المعتدى عليهم وهم أصحاب الحقوق المنهوبة، والأرض المسلوبة، والحريَّة المتحكم في شئون سيادتها وإرادة شعبها، وهذه البذور وحدها كافية لكسر حواجز الخوف وقيود الجُبن مما يجعل الإقبال على الموت مطلبًا من أجل الحياة وكسر الوهم.

وعليه:

ينبغي أن نميّز بين مردود أو نتيجة وهم من غَرَّرَ بمن، ومن غُرِّر بهم، فالذي يغرّر بالغير يظل واهمًا إذا اعتمد في مشروعه على موهومين مغرّر بهم، بمعنى: هل يمكن لمن غرّر بمن، أن يبني بهم مجدًا ويحقق بهم مستقبلًا آمنًا وهو على يقين أنَّهم واهمون؟ ثمَّ إلى متى سيكون المغرر بهم موهومين؟ أي: لا بد من نهاية تكشف الزَّيف والوهم.

وفي المقابل عقول الموهومين ليست بمبدعة ولا خلّاقة، بل إنَّها عقولٌ تميل إلى الاتكاليَّة ميلًا، ومن ثمَّ نفوسهم ضعيفة، وعقولهم مملوءة مطالب، ومن ثمَّ فهل يستطيع مَن أوهمهم أن يُشبع حاجاتهم التي تتطوَّر على الرّغم من أوهامهم التي لا تتطوَّر؟

ومع ذلك يظل الموهومون بالنسبة إلى من أوهمهم وقودًا لإدارة دفّة أموره حتى يصبحوا ضحايا، ومع أنَّهم سيكونون الضحايا فإنَّ نهاية المشهد لأيّ مسلسل ستكون نهاية البطل، وفي معظم الآحيان لن يكون من وراء نهايته إلَّا الوهم الذي استظل به وأوهم الآخرين به.

وعليه: عندما تصبح النهايات مؤلمة لكلٍّ من الواهم والموهوم، فهل لنا أن نميّز بينهما لو لم يكن الوهم هو العامل المشترك في تنوَّع أساليب وطرق صيد الطريدة؟

ولهذا يظل الموهوم مغيّبًا عن حقيقة المعرفة حتى يقع في الفخ، وساعة وقوعه فيه، لن يبقى في ذاكرة الموهوم شيئًا حيًّا إلَّا الوهم، أي: بعد موت الواهم، والوعود التي أوهم الآخرين بها لم تنجز بعد؛ فلن يبقى معهم من بعد رحيله شيء يذكر إلَّا الوهم الذي لن تطوى صفحاته إلَّا شاهدًا عليهم.

تهيؤ الأنا:

مع أنَّ التهيؤ قيمة فإنَّه لا يكون قيمة إلّا بين سالبٍ وموجبٍ، فإن كان التهيؤ للموجب وعُمل من أجله كان العمل موجبًا، وإن كان التهيؤ للسّالب وعُمل من أجله كان العمل سالبًا، أمّا التهيؤ الأناني فهو يتعلّق بتوجيه التهيؤ وفقًا للرَّغبة الخاصّة بمطمع خاصّ حتى وإن كان على حساب

الغير، أو حتى وإن كان فيه ضرر للغير، ممّا يجعل عنوان الأنانيَّة (أنا ومن بعدي الطوفان) وكأنَّ العالم خُلق للأنا دون غيره.

ولذا فالأنا ضمير يعود على من ينطق به؛ فأنا يشير إليَّ وأنت تشير إليك، وهم تشير إلى من لم يكن أنا وأنت، ونحن تحتوينا، وتستثني غيرنا، وترتبط الأنا بالأنانيَّة عندما تخرج عن الذّات والموضوع، وفي هذه الحالة توصف بأنّها في حالة ميل أو انحراف سلوكي يؤدّي بها إلى الأنانيَّة؛ حيث إظهار السّلوك الأناني على حساب الآخرين الذين لهم الحقّ في الوجود أو الظهور المماثل.

والأنانيَّة مرحلة من مراحل الجبن المكوّن للشّخصية الفاقدة للقيم والثقافة والسّلوك الاجتماعي والإنساني، والمستجيبة للرّغبات والأهواء والأطماع الخاصّة، التي تهيأ الفرد بها سلوكًا وفعلًا وعملًا أنانيًا؛ حيث لا مكان في نفسه للقيم والفضائل التي تكوّن ذات المجتمع والانتماء إليه.

وترتبط الأنا بالآخر والموضوع عندما تكون العلاقة موجبة، وتنفصل عن الآخر والموضوع عندما تكون العلاقة سالبة، وكلّما ظهر الأنا مع الآخر في الموضوع الواحد وهما في حالة تساوٍ وفق الحاجة والجهد كلّما قويت العلاقة بينهما، وكلّما ظهر الأنا أنانيّةً على حساب الآخر ضعفت العلاقة بينهما، وقد يحدث الصّدام وتسود الفرقة إلى حين الالتزام بحقّ الآخر في الموضوع دون منّة؛ فالانا الموجبة هي التي تتمسّك بما لها من الموضوع دون أن تمسّ حقّ الآخر فيه.

وعندما تكون أهميَّة الأنا وعيًا عند الآخر، وتكون أهميَّة الآخر وعيًا عند الأنا، تصبح الأنا متهيأة بالخوف الذي به تتمكّن من الاعتراف بحقّ الجميع في الموضوع العام، وفي مقابل ذلك عندما تعمّ الجهالة الأنا والآخر في الموضوع المشترك يُطمس أحدهما على حساب الآخر ويسود السّلوك الأناني الذي تترتّب عليه الأفعال السّالبة.

وبما أنَّ لكلّ فرد خصوصيَّة تميّزه عن غيره وفقًا لقدراته واستعداداته وميوله وثقافته، إذن: فلا داعي لطمسها، بل من الواجب إظهارها بما يمكّنها من أداء مهامها الخاصّة بموضوعيَّة واعتبار، وعندما لا تطمس الخصوصيَّة، لا تطمس الذَّات العامَّة التي هي مجموع تفاعل الخصوصيَّات، فأنا كفرد أعرف أنّ ليّ حقوقًا وعليّ واجبات، ومن ثمَّ أتحمّل المسؤوليَّة مع الآخرين الذين لهم علاقات بالمواضيع المشتركة بيننا.

(أنا، أنت، نحن):

هذه ضمائر تستند إلى منطق تحديد الهويّة، فأنا تشير إليّ، وأنت تشير إليك، ونحن تحتوينا، وهم غيرنا.

في منطق الحوار (أنا) و (أنت)، طرفان مختلفان؛ فأنا لم أكن أنت، ولن، وأنت كذلك لم ولن تكن أنا؛ فأنت بالنسبة لي تعدّ الآخر فردًا، أو تنظيمًا، أو دولة، أو أيّ طرف من أطراف الاختلاف، وهكذا تكون أنا هي الآخر بالنسبة لأنتَ.

ولذا فمِن مستهدفات منطق الحوار أن يسود بين المتحاورين منطق (نحن)، بدلًا من منطق (أنا أو أنت)؛ فمنطق نحن منطق استيعابي لا يستثني

أحد من المتحاورين، أو الملتقين المختلفين، أمّا منطق (أنا) أو (أنت)؛ فهو منطق تفريقي.

وعليه، ينبغي أن نحدّد:

. من أنا؟

. من أنت؟

. من نحن؟

فأنا هو الذي له حقوق وواجبات ومسؤوليّات، كما هي التي لك بالتمام، فإذا ساد هذا المنطق، يصبح الجميع متساوين حقوقًا وواجبات ومسؤوليّات، ويصبح لا وجود للخلاف مع أنَّ الاختلاف بيننا سيظل سائدًا، وهكذا دائمًا يرى الأنا أنَّ له وطنًا، ودينًا، وعرفًا، ولغةً، وتقاليد، وخصوصيَّة فرديَّة تختلف عمّا يخصّ الآخر؛ فدين الآخر ولغته وتقاليده وأعرافه، وكلّ ما يجعل له خصوصيَّة حتى وإنْ كان الآخر من بني الوطن هي خصوصيّته التي يجب أن تُقدّر؛ فعلى سبيل المثال: في ليبيا مع أنَّ للعرب والأمازيغ والطوارق والتبو دينًا واحدًا هو الإسلام، إلّا أنّهم يتّبعون مجموعة من المذاهب المختلفة (المتنوّعة) كغيرهم من المسلمين؛ ولذا فهم جميعًا لهم عادات وتقاليد واحدة وإن تنوّعت، ولهم لغة واحدة وإن تنوّعت، ومن هنا فاتفاقهم على التنوّع يعد اتفاقهم على الوحدة الوطنيَّة، ولكن إنْ تعصّب أحدهم للغته، أو للمذهب الذي اختاره فلا بدَّ وأن يحدث بينهم الخلاف الذي يقود إلى الصِّدام والفرقة.

ولكن إنْ ساد بينهم الاعتراف والتقدير لكلّ ما يكوّن خصوصيّاتهم المتنوّعة، فيسود بينهم التفاهم والتفهّم اللذان يمكّنانهم من استخدام كلمة (نحن معًا)، وإذا (لم)، ستكون كلمة (لن) هي السائدة بينهم (أنا) أو (أنت).

وإذا كان الحال هكذا على مستوى أبناء الوطن الواحد، فكيف يا ترى سيكون على مستوى أهل الأديان والأوطان؟

أهل الأديان عندما يسود بينهم منطق (أنا) أو (أنت)، تصبح مسميّات الأديان اليهوديّة والمسيحيّة والمحمديّة (الإسلام)، وعندما يقبلون بسيادة منطق (نحن) يصبح الجميع إبراهيميين (الإسلام)، أو أصحاب الديانات الإلهية، الذين تختلف دياناتهم عن البوذية، والكنفوشية، والزرادشتية، والهندوسية؛ ولذا فعندما يقرّر أهل الأديان الاعتماد على منطق الحوار فلا بدَّ من الجلوس على طاولة حوار واحدة، لأجل كلمة سواء، والكلمة السّواء تجعل الصلة بين المتحاورين بدون فوارق، ولا خلاف على كلمة الحقّ.

وهكذا شعوب الشّرق والغرب والشّمال والجنوب إذا لم تحتويهم كلمة (نحن)، سيظلون على ما هم عليه بين الضميرين (أنا) أو (أنت) اللذان يفرّقان في بعض الأحيان بين المرء وزوجه، وهذا لا يعني أنّ النّاس أو المتحاورين سيظلون وكأنّهم نسخة واحدة فـ(أنا) من حيث القدرات والاستعدادات والإمكانيّات اختلف عن قدرات واستعدادات وإمكانيّات (أنت)، وهذه تختلف بالتمام مثلما تختلف حاسة السمع والبصر والذوق

واللمس والشّم من شخص لآخر، وعليه: فبالضرورة نحن أصحاب الحواس في حالة اختلاف قياسي، ولهذا أنا أختلف عن أنت، وأنت تختلف عن أنا، ومع ذلك فنحن نمتلك المقدرات الحسية التي تجعل بيننا مبدأ القبول هو السّائد، والعقل هو مصدر الحوار، والمنطق هو الوسيلة المثلى التي نحتكم بها حجّة بحجّة.

ولأنّنا نمتلك ثروة هائلة من قواعد المنطق، ونمتلك ثروات هائلة من المشاعر والأحاسيس والطموحات والآمال، فَلِمَ لا نسخّر كلّ ذلك من أجلنا جميعًا؟

ولماذا الفرقة التي تترتّب عليها العداءات التي تحول بين التقائنا (أنا وأنت)، لنكتب بالخط العريض كلمة: نحن بنو الوطن الواحد، ونحن الذين تربطنا علاقات مع إخوتنا في الدين خارج الوطن، ونحن أصحاب القضايا المشتركة، والمصالح المشتركة، والمستقبل الإنساني المشترك؟

وعليه: فكلمتا (أنا أو أنت)، تسمح بمسافة فراغ تجذب مشاعر الخوف إليهما، وكلّما زاد تمسّك وتعصّب الأنا بأناته اندفع الـ(أنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد الشكوك وتقلل من الثّقة التي ينبغي أن تسود بين الطرفين (أنا وأنت)؛ فأنا الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحرّية ينبغي أن أعمّ النّاس، وأنا الشفافيَّة ينبغي أن أكون السُّلوك والفعل، وأنا الوطن ينبغي أن أكون ملكًا خالصًا لشعبي، وأنا الأبوَّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يحرم أحد من مشاعري وانتمائي، ومن هنا أصبح أنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل، أو أردتم الاعتراف

والتقدير، وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم حقوق ينبغي أن يمارسوها، ولهم واجبات ينبغي أن يؤدّوها، ولهم مسؤوليّات ينبغي أن يحملوها، ويتحمّلوا ما يترتب عليها من أعباء وإن كانت جسيمة.

ومن تمّ، تصبح كلمة (أنا) كلمة حقّ لا بدّ أن تقال، وفي المقابل تصبح كلمة الباطل التي عليها (أنت) باطل لا بدّ أن يزال، وكلمة (أنت العبد) في خبر كان بأسباب الحرّية والانعتاق، وعندما تكون (أنت) الاستعمار يجب أن تُهزم، وأنت القيد يجب أن تُفك أو تُكسّر؛ ولذلك فأنت لم تكن أنا؛ ويا ليتك تفهم أنّنا نحن سويًّا بنو وطن واحد، والملك لله وحده.

وعليه: فإنْ لم يحدث اللقاء والتفاهم المنطقي بين أطراف (أنا) و(أنت) المختلفتين على السّلطة، أو الثروة فلا شكّ ستكون الجهود المبذولة من كلّ طرف على حساب الطرف الآخر، وإذا ما تمّ ذلك فلا تستغرب أن يكون الصّدام هو سيد الموقف، ولكن إنْ أردنا الحلّ فعلينا بالجلوس على طاولة (نحن) التي تجمع شتاتنا، وتخلّصنا من الفاقة والحاجة، وتبعد عنا المترتّب على الصّدام والخصام، وإنْ لم نفكّر في مستقبلنا جيّدًا فلا تستغرب أن يكون في دائرة الممكن غير المتوقّع مؤلما.

ولذلك فالعقل الأوربي والغربي بشكل عام دائمًا يفكر في يومه، ويسعى لرسم سياسة مستقبله، أمَّا العقل النّامي وبشكل عام في المجتمعات التي كانت تسمى بمجتمعات العالم الثَّالث أيّام الحرب الباردة فهم في مُعظم الأحيان لا ينظرون إلى المستقبل بنظرة الأمل، بل في معظمهم ينظرون إلى

الماضي كمصدر للدفء، ومن ثمَّ يحنّون إليه، وكأنّه بلا شكّ سيأتي إليهم مرّة ثانية.

إنَّ هذ الحال بالنسبة للعقل النّامي كحال العقل الواهن الذي لا يُمكّن كبار السنّ من التفكير التطلّعي، ومن ثمَّ فهم في بعض الأحيان لا يرون مستقبلًا أفضل من الأخذ بالماضي، ومع أنَّ في الماضي العبر، فإنَّ اقتصار التفكير عليه وقفل أبوابه لا يؤدّي إلّا للتخلّف، ومن ثمّ يصبح بعض من كبار السّن هم في حالة لكّ لعلكة التاريخ الماضي فلا ينسجمون إلَّا بالحديث عن بطولاتهم، أو بطولات آبائهم وأجدادهم إن كانت لهم بطولات ولو كانت بطولات واهم، أمّا أحوال أهل الشّمال والغرب كحال الشباب، دائمًا هم في حالة طموح وتحدٍّ لما هو كائن، فهم يعيشون يومهم ويحلمون بمستقبل أفضل؛ ذلك لأنَّ الحياة عندهم بدون طموح ترافقها المرارة، وبالطموح تزداد حلاوة.

ومع أنَّ التقدّم المادّي بين أهل الشمال وأهل الجنوب قد ترك بينهم هوة واسعة، فإنَّ الاستقرار والتقدّم معًا لا يكونان سائدين إلّا باستيعاب أهل الشمال لأهل الجنوب، واستيعاب أهل الجنوب لأهل الشمال، وهذه لا تتمّ إلّا عن إرادة تجعل من أنا وأنت (نحن معًا ونحن سويًّا)، وتصبح اليد العاملة الوفيرة في المجتمعات النامية هي العنصر الرّئيس في إشباع حاجة سوق العمل، ويصبح الإنتاج الوفير نوعًا وكمًا هو المحقّق للنُّقلة المأمولة من قِبل النَّاس.

ولذلك فسيادة منطق (أنا وأنت) حُجّة من أجل (نحن) يُحفّز على التقبّل والاستيعاب، كما أنّه يدفع إلى كلّ ما من شأنه أن يشبع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمَّ يحقّق الاستقرار والعدالة في التوزيع بين النّاس شعوبًا وأممًا.

وعليه:

فمنطق (إنا وأنت) منطق تنوّع واختلاف هدفه جمع الشّمل، أمّا منطق (أنا أو أنت) فهو منطق خلاف، وتشتّت، وصدام، وخصام، ومواجهة، واقتتال بين النّاس.

ولأنّ منطق (أنا أو أنت) منطق خلاف وفراق فهو المنطق المبرّر لإنشاء وتكوين أجهزة الأمن السرّي والعلني في كلّ بقاع المعمورة، وهذه الأجهزة هي صاحبة فلسفة الشكّ في الجميع إلى أن يثبت الجميع غير ذلك، ولكن إذا أصبح الشّك هو السَّائد في (أنا وأنت) ففي من يا ترى ستغرس الثّقة؟ وعندما تصبح مهمة الحكومة وأجهزتها الأمنيّة هي الشّك في (أنت) فهل يمكن لنا أن نصف مثل هذه الحكومة بالحكومة العادلة؟

إذن: إنْ لم تتغيّر في الوطن الواحد لغة (أنا) أو (أنت) وتحلّ مكانها لغة (أنا وأنت) من أجل وطن واحد، وأمن واحد، وحقوق واحدة، وواجبات واحدة، وعدالة واحدة، ومستقبل مشترك، لا يمكن أن يكون الاستقرار، ولا يمكن أن تحدث النُّقلة إلى الأفضل والأنفع والأجود والأهم والأفيد رفعة للجميع، ومن هنا يسود الاستقرار والأمن في الدّول التي تولي اهتمامًا خاصًّا بالمواطن من النواحي السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والنفسيّة،

والثقافيّة، والذوقيّة، وفي المقابل لا يسود الاستقرار في الدّول التي تركّز على الأمن السرّي كونه جهازًا لمراقبة المواطنين خوفًا على الحكومة وقمّة سلطانها؛ فهذه الأجهزة في معظم الأحيان في دول العالم الثالث لا ترى المواطن إلّا (آخرًا). وهكذا هو حال بعض الأنظمة التي لا ترى مواطنيها إلّا (آخرين)؛ فتسعى باستمرار لتكديس الأسلحة التي لا تُشهر إلّا في وجوه المواطنين المطالبين بحاجاتهم المفقودة.

هذه النظريَّة غير العادلة لا مستقبل لها إلّا النهاية؛ ولذا فالتَّاريخ دائمًا يثبت سقوط الأنظمة الفاسدة على أيدي الشعوب التي نظر إليها الدكتاتوريون نظرة إلى آخرين وكأنّهم لم يكونوا من بني الوطن؛ ولذلك فلو كانت السياسة، والخطط، والإستراتيجيَّات لا ترسم إلّا بلغة (نحن معًا) و(نحن سويًا) ما كانت الفِتن ولا الصّدامات والخصومات في الأوطان، ومن ثمَّ لن يعدّ هناك مبررا للثورة، ومن يحاول ذلك سيكون أضحوكة ومحلّ سخرية؛ ذلك لأنّ الثورة هي دائم لأجل إزاحة المظالم، وعندما تكون ثورة أنا، وأنت، وهم (سويًّا) لا شكّ أنّها سَتُمكّن الجميع من ممارسة الحرّيَّة، التي لا تجعل للمظالم مكانًا بين النّاس لتستقرّ فيه.

ولأنَّ لكلّ ثورة غاية، فالثورة لا شكّ أنّها ستختفي ببلوغ أصحابها تلك الغاية التي تفجّرت من أجلها، ولكن إنْ ظن أحد أنَّ الثورة ستظل مستمرّة، فعليه أن يعيد حساباته بإعادة قراءة التَّاريخ، وحينها سيكتشف البعض أنَّهم غافلون باعتقادهم أنَّ الثورة عمل دائم، فالثورة عندما تكون عملًا دائمًا تصبح وظيفة، وعندما تكون وظيفة تفقد محتواها ومضمونها،

وعندما تفقد محتواها ومضمونها، ستواجهها ثورة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، حتى تجتثها من جذورها.

أوهام الشَّخصنة:

الشّخصانيَّة تجسيد لسلوك الإنسان المتمركز على الأنا؛ إذ لا معياريّة لتقييم المواقف والأعمال والأفعال والاتجاهات، وترتبط الأنا بالشخصانيَّة عندما تنفصل رؤاها عن الموضوعيَّة، ومن ثمَّ نجد البعض يود أن يُظهر شخصانيّته وأنانيّة على حساب المجتمع الذي ولد فيه بعد أن خُلق كإنسان قاصر عن العيش بمفرده، وبمنعزل عن بني جنسه؛ ولذلك تتكوَّن الشَّخصانيّة من وهم الفرد الطَّامع في حقوق غيره، ومن هنا فالشخصانيّة تعني: أنا ومن بعدي الطوفان وكأنّ العالم خُلق للأنا دون غيرها[2].

إذن: فالأنا ترتبط وهمًا بالأنانيّة والشَّخصانيَّة عندما تخرج عن الموضوعيّة وتصبح في منعرج السّلوك الأناني الشّخصاني الذي يُقيّم الأمور من زاوية تحقيق المنفعة التي تعود عليه، بغض النّظر عمّا يصيب الآخرين من ضرر، ممّا يجعل لسان حال الأنا: (المهم أنا).

وبناء على ما سبق أتساءل:

لماذا يودُّ البعض أن يُظهِر أنانيّته (شخصانيّته) على حساب قيم المجتمع الإنساني الخيّرة وفضائله الحميدة؟

---

[2] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعية (مفاهيم ومصطلحات)، القاهرة: المصرية للنشر والتوزيع، 2019م، ص 41.

أقول: متى ما توهَّم الفرد بما توهَّم به شخصنةً ضاق أفقه، وضاقت الدنيا عليه، ممّا يجعله في حاجة لمن يخرجه مما ألم به من وهمٍ.

ومع أنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم إلّا أنّه خُلق ضعيفًا من حيث إنّه لا يكون قادرًا على الحياة ما لم تتلقّفه أيدٍ آمنة، تمدّه بالرّعاية والعناية التي تكسر عنه أوهام الشّخصنة، فالإنسان وإنْ ضعف إن قُدّمت له يد العون بغاية النّهوض ينهض.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع على حالة من التهيؤ والتأهّب بين سلوكٍ موجبٍ وسلوكٍ سالبٍ، فلا استغراب فيما يفعل، بل الاستغراب ألا يفعل، وعليه: فالإنسان الذي عصى خالقه لا يُستغرب أن يعصي المجتمع الذي لم يخلقه؛ ولذلك عندما تسود الأفعال الشخصانيَّة تُنسي الإنسان معرفة من هو؟ ومن الذي خلقه؟ وما ينبغي أن يقوم به واجبًا، وما ينبغي أن يتركه أو يتجنّبه وجوبًا؛ ولهذا فهو في حاجة لمن يكسر وهمه.

صِدامات الوهم:

مع أنَّه لا صدام مع معطيات ليست على قيد الحياة فإنَّ ما مات من معطيات الصِّدام ما زال على قيد الحياة في عقول الواهمين ساكنًا، ولا استغراب إنْ وجدتَ من يُصدّق وهمهُ ولا يُصدِّقك في حقيقة بيّنة، وفوق ذلك لا تستغرب إن خاصمك الواهم واصطدم معك إنْ لم تأخذ بوهمه.

ومع أنَّه من باب العلم والمنطق إذا تغيّرت المعطيات والمواقف السياسيّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة ينبغي على الإنسان أن يُغيّر مواقفه أو اتجاهاته،

فإنَّ الواهمين يزدادون تمسّكًا بالسَّرابِ ماءً، وباتخاذهم هذه المواقف يصفون من تغيَّر بعد ما تغيَّرت المعطيات بأنَّه خائن لا لشيء إلَّا لأنَّه لم يعد متمسّكًا بالوهم.

وفي المقابل العقل المستنير لا يقبل أن تُربط عيناه بما يحجب الرؤية عنهما وتختفي الحقيقة، ولهذا يتخذ قراراته ومواقفه عن بيِّنة ووعي واستنارة، ومع ذلك يخالفه الواهم، ويتخذ مواقف الوهم ضدّه؛ ولإيضاح ذلك أذكر المثال الآتي: بعد انقلاب معمر القذافي على النّظام الملكي في ليبيا جاء بشعارات في زمانها كانت برّاقة وجذّابة فكان لها من المؤيدين ما لها، وفي المقابل كان لأصحاب المعرفة الدستوريّة رأي آخر.

ومع أنَّ معمر القذافي في أيَّام ظهوره الأولى كان ملتحفًا بلحاف القيم الحميدة فإنَّه في أواخرها يكاد أن يكون عاريًا؛ ولذا بعد أن عفى زمن القذافي على القيم الحميدة، فلا إمكانيّة لأصحاب القيم أن يظلوا تحت مظلته، ففي أعوامه الأولى كانت شعاراته تصب كلَّها تجاه السُّلطة للشّعب، أمَّا بقيّة أعوامه ونهاياتها أصبح السُّؤال فيها:

- أين هي سُلطة الشّعب؟
- هل سُلطة الشّعب هي هواتف باب العزيزيّة التي تأمر وتوجّه؟
- هل سُلطة الشّعب هي مكتب الاتصال باللجان الثوريَّة الرّقيب على الشّعب؟
- هل سُلطة الشّعب هي القبيلة إلى استغولت على كلّ القبائل؟

- هل تنصيب القذافي لنفسه: ملك الملوك، يعني: السُّلطة للشَّعب؟

- هل محاكم الثورة هي الأداة الديمقراطيّة والشفافة لسلطة الشَّعب؟

لا شكَّ أنَّ الإجابات عن هذه الأسئلة محمولة في أحشائها مضمونًا، ومع ذلك لم يعرف الواهمون الإجابة المحمولة في هذه الأسئلة مضمونًا؛ ولهذا فهم يحتجّون على الذين فهموها وعرفوها.

وعليه: فالواهم إذا ما أصبح قائدًا أو رئيسًا فليس له مبدأ يتخذه إلَّا مبدأ واحدًا، وهذا المبدأ يتطابق بالتمام مع ما قالته عشيقة ملك فرنسا لويس الخامس عشر: (أنا ومن بعدي الطّوفان)[3]، فأخذها عشيقها من فمها وأصبح يردِّدها مرّة من بعد مرّة: (أنا ومن بعدّي الطوفان)، كما أنَّ هذا المبدأ يتطابق مع ما قاله ملك فرنسا لويس الرابع عشر: (أنا الملك وأنا الدّولة)[4]، أي: لا فرق؛ إذ لا أحد يملك فرنسا غيري، ولا شريك.

وعليه: فبعد أن ساد مفهوم (لا سُلطة للشّعب مع ملك الملوك) ظهر الصّدام بين من وَهِمَ، ومن كسر وهمه، وإن كان في بداياته محتشمًا، أصبح في نهاياته كاشفًا اللثام عن وجهه.

ومع أنَّ الواهم قراءاته لما هو آتٍ فيها من العلّة ما فيها فإنَّه في دائرة الممكن قد يبلغ مقصده، وإذا ما استولى على السُّلطة في البلاد يصبح الوهمُ مُفتيًا فيها.

---

[3] الشرق الأوسط، أنا ومن بعدي الطوفان، مشعل السديري، 13 فبراير، 2018م، العدد: 14322.

[4] المصدر السابق.

ومع أنَّ الواهمين قادرون على اختلاق الصّراعات والصّدامات فإنَّه لا إمكانيَّة لهم لتحقيق النّصر، ومع ذلك تظل جيوش أوهامهم مجنَّدة لتوليد الفتن والصّدامات التي تفرّق بين المرء وزوجه، ومن لا يستقرأ ذلك؛ سيكتشف يومًا أنَّه كان واهمًا.

وعندما تشتدّ الصّدامات مع الخصوم يلجأ الواهمون إلى استيراد المرتزقة للدّفاع عنهم، وهذه من علامات الوهم المؤدِّي إلى الهزيمة؛ فالمرتزق إن قَبِلَ بذلك لا يكون إلَّا من أجل الحياة، وليس من أجل الموت، ومن ثمَّ فمن يتعاقد مع المرتزقة سيكون واهمًا إن أراد بهم نصرًا؛ ذلك لأنَّهم لا يقبلون التعاقد إلَّا بهدف القتال الذي يُمكِّن من الحصول على المقابل المتعاقد عليه؛ مما يجعل المرتزق حريصًا على حياته وسلامته، وفي المقابل يحصد الواهمون وهمًا.

ومع أنَّ الوهمَ يؤدّي إلى الهزيمة فإنَّ تعاقد الواهم معه دائمًا يتجدّد، والواهم كلّما وقع في هزيمة سوّقها نصرًا، ومن ثمَّ ستظل الهزائم متوالية إلى أن يسقط الوهم بموت الواهم المسيطر على زمام أمر الدّولة التي أصبحت في عهده واهمة.

أي: عندما تكون سياسة الواهم مؤسّسة على: (أنا الدّولة والدّولة أنا) و (أنا ومن بعدي الطوفان) إذن: حتى وإن خسرت الدّولة ما خسرته من مقاتلين وبُنية تحتيّة، أو حتى وإن تم احتلال نصف البلاد فيظن القائد الواهم إنَّه قد انتصر على الخصوم؛ لكونه لم يقع في الأسر بعد.

صراع الأنا من أنتم؟

الأنا عندما يرى غيره لا يساويه؛ لكونه من وجهة نظره الأقل شأنًا منه فلا يلتفت إليه بكلتا عينيه، ولا ينظر إليه إلَّا في مستوى الدونيّة والسفليّة التي لا تستوجب التقدير ولا نيل الاحترام؛ ولذا فإنْ حاول أحد أن يرفع صوته ليقول كلمته التي جعلت له غصّة يواجهه السُّؤال غضبًا ووهمًا:

ومن أنت؟ أي: من تكون أنت حتى تتجرَّ وتسأل؟ وهنا فالإجابة تعني: أيَّها النكرة أنت لا شيء، أمَّا أنا فـ(أنا الدّولة والدّولة أنا) و (أنا ومن بعدي الطّوفان).

وهذا السُّؤال ارتبط بمعمّر القذافي في خطابه المتلفز للشّعب الليبي في 22 فبراير 2011م، عندما واجهه الشّعب الليبي ثائرًا في الميادين والسّاحات والشّوارع وازقّتها، وصوته تكبيرًا يعلو من علو المآذن فيعلو منها، وشعاره: (الشَّعب يريد إسقاط النّظام).

كانت المرّة الأولى التي يقال فيها جهارًا نهارًا لمعمّر القذافي: (إرحل). فجنّ جنونه؛ فقال على الهواء مباشرة: (من أنتم؟) فكان هذا القول وكأنّه الزيت الذي سُكب على النّار المشتدّة فازدادت النّار شدّة، أكلت المظالم، ثمّ أكلته.

تمّ جاء في خطابه يوم 24 فبراير 2011م ليؤكّد لأهل بنغازي بأنّهم لا يزيدون عن كونهم نكرات؛ بقوله: (هذه آخرتها يا أهل بنغازي، من أنتم؟)

ولذا كانت حسبته في دائرة المتوقّع خاطئة؛ إذ كان يظن أنَّ الشَّعب الذي حكمه 42 عامًا لن تقوم له قائمة، وذلك لمعرفته بما زرع وبذر فيه

من مفاسد ومظالم وفتن، ولكن في دائرة غير المتوقّع كان الجمر تحت الرّماد سرًّا، فانكشف ذلك السرّ عندما صبّ معمر القذافي الزيت عليه بقوله: (من أنتم؟)

إذن: عندما يصل الحال بعقل الأنا الى مستوى من السُّفليّة فليس له إلَّا السقوط الذي لا نهوض من بعده، أي: عندما يبلغ الحال بالأنا من تكبّر على الغير فليس له إلَّا الانكسار والسقوط، وهكذا بالتمام كانت النتيجة المتحققة من السُّؤال: من أنتم؟

ولذا فعندما يعلن الأنا الواهم قبول التحدّي في ساعة عُسرة تواجهه فسيجد المتحدين له كُثرًا، وفي المقابل إذا التفت إلى الخلف فلن يجد سندًا لظهره، ومن ثمَّ سيظل وحيدًا في مواجهة الرّعب الذي لم يكن يدركه في دائرة غير المتوقّع، وعندما تشتد المواجهة فالأنا لا يصمد، بل سيقبل بالمعادلة الصفريّة (هيّأ نتصالح)، وساعتها سيكون الغضب على أشدّه حرائق واقتتال ورائحة الموتى في الشوارع والأزقة، ومن هنا فلا إمكانيَّة لإيجاد معادلة صفريَّة، مما يجعل النتيجة (الرَّحيل بلا تذكرة عودة).

الأنا تُقويّض العدالة:

مع أنَّ العدالة لا يمكن أن تقوَّض إرادةً، فإنَّها كرهًا تنكمش وتقوَّض، وهذا الأمر يجعل الخلل وعدم التوازن يدور بالرؤوس، فلا سياسة رشيدة، ولا قضاء عادل، ولا حُسن جوار، والظُّلم بين النَّاس ظُلمة.

ومن ثمَّ فالعدالة فضيلة إن سادت على الأرض ساد الإصلاح والإعمار فيها، وإن انتهت ساد الظُّلم وانعدمت الثّقة.

ومن هنا فالعدل قيمة مرضية للنّفس المتمسِّكة بالحقّ والمنتهجة سبيله، وفي المقابل العدل قيمة محرجة لمن يحيد عنه، ومع أنَّ العدل واحد ولا يتعدّد، فإنَّ الاختلاف والخلاف عليه بين النَّاس لن ينقطع، وهذه طبيعة النَّاس مصداقًا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[5].

ومع أنَّ العدل قيد على أصحاب المظالم والمفاسد فإنَّه يُحسّن العلاقات ويقويّ الرّوابط الاجتماعيَّة والإنسانيَّة ويغرس الِّثقة بين النَّاس رحمة، ولهذا إذا تولى الحكم مُفسدًا فسدة الدّولة، وقوِّضت القيم، وبفساده هذا يطغى مرّتين:

الأولى: أنَّه قد عصى أمر الله الذي أمر أن يكون الحكم بين النَّاس عدلًا.

والثَّانية: أنَّه يظلم النَّاس بحكمه كونه لم يأخذ بما قرّروه عن إرادة.

ولذا فالعدل فضيلة خيِّرة وقيمة حميدة؛ كونه بلا مظالم: {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[6]، في هذه الآية الكريمة جاء فعل الاعتداء مرّتين تماثلاً (فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ):

المرَّة الأولى: تحمل دلالتين سلبيّتين:

1 . الاعتداء الأوّل، اعتداء ظالم، لأنَّه اعتداء أوَّل بدون مبرِّرات موضوعيَّة، أي: لماذا أصلًا كان التفكير في الاعتداء؟ ولماذا الإقدام عليه!

---

[5] هود 118، 119.

[6] البقرة 194.

2 . الاعتداء الثَّاني، هو الذي إن امتدَّت حدوده أكثر من مستوى الاعتداء الأوّل يُعدّ اعتداءً ظالما.

المرّة الثَّانية: تحمل في مدلولها الإيجابيَّة من حيث كون الاعتداء (المترتّب على الاعتداء الأوّل) هو ردٌّ لا ظلم فيه عندما لا يخرج عن مستوى أو مساحة أو حجم الاعتداء الأوّل، ممّا جعله حقّ ينبغي أن يُمارس بالتّساوي في حدود الاعتداء الأوّل.

وهو الصّراع الذي ينجم عن صراع الأفراد على الموضوع وفقًا للمستويات الآتية:

1 . الصّراع بين المواطنين كأفراد عندما يحس كل منهم بأنَّ الآخر قيدًا على ممارسته الحريَّة.

2 . الصّراع بين المواطن الفرد والحاكم عندما يحس المواطن بأنَّ الحاكم يُشكّل قيدًا عليه وعلى ممارسته الحريَّة الشرعيّة والقانويَّة، أو عندما يحس الحاكم بأنَّ المواطن غير مكتفيًا بما أعطى له من هامش للامتداد.

3 . الصّراع بين المواطن الفرد وأداة الحكم، عندما يحس الموطن بأنَّ الأداة الحاكمة تحتكر السُّلطة ولا تسمح له بأن يمارس الديمقراطيَّة.

4 . صراع المواطن كفرد مع الدّستور والقوانين والنظم عندما تصاغ بغير إرادة.

بناء على هذه النقاط المسببة للصدام آجلًا أم عاجلًا بين الأنا والآخر جاءت تنظيرات العولمة لكسر قيودها، بهدف تحرير المواطن بناء على

ضمانات حقوق الإنسان، فمن حقّ الإنسان أن يكون حرًّا ويمارس الديمقراطيَّة بإرادة؛ ولذا يجب فك القيد عنه بإرادة، وإن لم يُفك بها يجب أن يُكسر بالقوّة، وكلمة يجب أن يُكسر بالقوّة تعني: فيما تعني وضع القيد في أيدي من لا يود فكه بإرادة.

ولذا فالأنا الواهمة تكون طامعة فتمتد خارج حدودها، وعندما تمتد خارج حدودها بالضرورة تصبح على حساب حريّة آخر أو آخرين، فالحاكم عندما يمتد خارج حدوده خلافًا للدستور والقوانين والتشريعات التي سنت بإرادة لا بدَّ وأن يكون على حساب حريَّة المواطن؛ ولذا لا يحقّ للحاكم أن يتصرّف نيابة عن المواطن أو يتدخل في شؤونه فيما لم يخوّله به؛ وهذا الامتداد يستوجب قيدًا على امتداد الحاكم خارج الحدود وليس قيدًا على الامتداد داخل الحدود (الاختصاصات والصلاحيَّات).

وعليه: فالانا الواهمة في علم النفس كثيرة التحايل في سبيل تحقيق إشباعًا على حساب الغير، وكثيرة التهرب من الذَّات الضّابطة لها من الانفلات، وهذا الحال يتماثل مع الحاكم الفرد الذي لم يكن معه شركاء في اتخاذ القرار وتحمّل المسؤوليَّة، فعندما ينفرد بالأمر لا بدَّ وأن يكون حاكمًا دكتاتوريًّا، والحكم الدكتاتوري يُعد قيدًا ينبغي أن يُكسّر بقيد يجعل من الممتد خارج حدوده في وضع لا يسمح له بالامتداد ثانية على حساب المواطن أو حساب الآخر كان من يكون.

صراع الأنا مع الذَّات:

وهو صراع الجماعات على الموضوع والذي يأخذ الأشكال التالية:

1 . صراع الجماعة مع الأنا الذي يرغب في الانفلات والهروب من الوقوف عند حدود الحقوق والواجبات والمسؤوليّات، وهذا الأنا سيحدث الصِّدام معه في الزَّمن الآن أو في المستقبل إلى أن يُكسر القيد الذي كان يعتقد بأنَّه لا يمكن أن يُفك، ويتمّ حصره وضبطه بالالتزام أو وضع القيد عليه، والجماعة عندما تكون شرعيّة، تصبح ذات مهام شرعيّة، كالبرلمانات والمجالس النيابيّة وكل الأجسام المنتخبة وفقًا لدساتير وقوانين شفّافة، وهذه الأجسام إن حادت عن هذه المهام لا بدّ وأن تُسائل من قبل الشّعب الذي اختارها وفقًا للدّستور.

ولأنَّ هذه الأنظمة الديمقراطيَّة مختلفة السياسات ومختلفة النظم، فلها من الأدوات ما لها، وهذه الأدوات الديمقراطيَّة تُعد قيدًا على المسؤول الأوّل في الدّولة، كما يُعد هو قيدًا عليها وفقًا للصلاحيّات والاختصاصات، وقد يحدث الصدام بينهما عندما يحاول كل منهما الامتداد على حساب الآخر، فيُسقط البرلمان أو يُحل المجلس أو يسقط المسؤول الأوّل، فالمسؤول الأوّل عندما يحس بأنَّه قوَّة قد لا يليق بخاطره أن يكون هناك من يحاول تصويبه إذا ما انحرف قليلًا أو كثيرًا، ومن هنا فلن يقبل بهذا القيد الذي على مقربة منه، والذي يحاول أن يضع أمامه الحدود وإشارات قف.

ولأنَّ الشّرطة وهراواتها ومسيّلات الدّموع التي بيدها، وكتائب الأنياب الرَّادعة (كتائب كلاب الشّرطة) التي بحوزتها كلّها تحت أوامر المسؤول الأوَّل في الدّولة، فلا بدّ وأن تكون قامعة للحريَّة إذا ما أصدرت لها الأوامر لقمع من يحاول أن يكون حرًّا ولو بكفالة دستوريَّة، وهكذا تصدر الأوامر إلى

الجيش لحسم الأمر وبخاصة في الدّول النامية التي تُعلن فيها الطواري كقيد على الحريَّات كلّما دعت الضرورة لذلك.

2 . صراع الجماعة الواهمة مع الجماعات الأخرى؛ إذ كل النَّاس تُريد أن تثبت ذاتها، أو تريد أن تحكم، ومن ثمَّ فمن يُحرم من ممارسة هذا الحقّ فلا بدَّ وأن يكون في المعارضة بغاية كسر القيد، ولأنَّ غايته كسر القيد أوَّلًا، فالصّدام معه لا شكّ أنَّه أتٍ مع من لا يرى له قيمة إلَّا والقيد لا يفارقه، ومثل هذا الأمر يجعل الصدام دائرًا بين الجماعة الحاكمة والجماعة المحرومة من ممارسة هذا الحقّ، وهذه الجماعات المتصادمة يمكن أن تكون حزبًا وحزبًا آخر، أو طائفة وطائفة، أو قبيلة وقبيلة، أو جماعة مصلحة وجماعة مصلحة أخرى، أو عصابة وعصابة، وكل هذه الجماعات والعصابات الواهمة لا ترى مركزًا للعالم إلَّا هي دون غيرها، ومن هنا فالصّراع لن يتوقّف بما أنَّ الأنانيَّة هي الدافعة لمثل هؤلاء وهمًا.

3 . صراع الجماعة الواهمة مع المجتمع، كالصّراع العرقي الذي يدور بين الأقليّة والأكثريّة، وبخاصّة عندما تحسّ جماعة الأقليّة بأنّها مقيدة بقيود الأكثريَّة، والتي جعلتها في حالة اضطرار بين قبول القيد بالقوّة ومحاولة كسره، وفي كل الأحوال قد تندفع الجماعة وإن كانت اقلية بدوافع واهمة وتسيطر على الدّولة وحينها لن ترى نفسها إلَّا هي صاحبة السيادة فمثل هذه الجماعة لا شكّ أنَّها واهمة وإن حكمت فترة من الزمن فالزمن سيظل كفيلًا بعودة السيادة لفاقديها؛ ذلك لأنَّ الشّعب وحده هو الضابط للانحرافات والمصحح لها كلّما وقعت.

صراع الضمير العام:

الضمير العام هو المكوّن للأوامر والنواهي الرّافضة لقيود الأنا وقيود الذّات عندما تنحرفا أو تمتدّا إلى خارج حدودهما، وهو الضّابط العام القادر على كسر القيود التي تحاول أن تضعها الأنا على الذّات، أو تلك التي تود أن تضعها الذّات المنفلتة على الأنا عندما تكون الذات معتدلة ومتّزنة، وهذه تجعل الصِّدام يجري بين المستويات الآتية:

1 ـ صراع الضمير العام مع الأنا: عندما تَفلُتَ الأنا من ضوابط الذَّات التي تشكّل قيدًا عليها، يتدخّل الضمير العام كحكم بينهما بالنواهي والضوابط التي أستمدّها من القيم المفضّلة، والتي تُعتبر إطارًا مرجعيًّا لا بدَّ وأن يتم الاحتكام إليه، وهذه الضوابط بالنسبة للانا الواهمة تُعدّ هي الأخرى قيودًا إن لم تفك لا بدّ وأن يتم التحايل عليها وعدم الالتزام بالأوامر والنواهي المتكونة من الدين والعرف الذين تنفلت الأنا من بعض ضوابطهما ولو إلى حين.

2 ـ صراع الضمير العام مع الذَّات الجماعيَّة: الذَّات الضابطة للأنا في كثير من الأوقات هي في حالة صدام معه، ولأنَّها ذات جماعيَّة بشريَّة فهي الأخرى تحيد في بعض الأحيان عن ضوابط الضمير العام، والذي تعتبره الذّات سندًا لها عندما تكون في حالة صدام مع الأنا، وفي ذات الوقت تعتبره قيدًا عليها عندما تحاول الانفلات والانحراف؛ وذلك بمتابعته لها في كل أمر فيه فضيلة أو قيمة خيّرة؛ ولذا فكلّما قرّرت الانفلات منه يحدث الصّدام معها، ومثل هذا الحال كحال البرلمانات والمجالس النيابيّة واللجان كجماعات شرعيَّة مختارة بإرادة، فهذه الجماعات كلّما حاولت الانفلات

وجدت المجتمع الذي اختارها مترصّدًا بها الدّوائر مسائلًا ومحاسبًا؛ ولهذا تُعدّ هذه الجماعات الشرعيَّة في بعض الأحيان قيدًا على الحاكم، وهكذا باستمرار يعد المجتمع قيدًا عليها.

3 ـ صراع الضمير العام مع الذّات المجتمعيَّة: كصراع الضمير القومي مع الضمير العالمي، أو الضمير العرقي مع الضمير الأممي، وهذا ما تودّه العولمة وتعمل عليه، فهي تُريد أن تصوغ نُظم جديدة لضبط كل ضمير عام على مستوى كل شعب أو مستوى كل أمّة، وتود الالتزام بممارسة الحريَّة في ضوء حقوق الإنسان وضوابط المؤسّسات الدّوليَّة.

ومن خلال ما تطرحه العولمة من تنظيرات فإنَّها لا تَعدّ الضّمير العام للمجتمع المحلي أو القومي ضميرًا عامًا، بل أنَّها تعتبره أمام الضمير العالمي حالهُ بالنسبة لها (للعولمة) كحالِ الأنا بالنسبة لهُ (الضمير العام).

وإذا تساءل البعض: متى يحدث الصّدام بين الضمير العام للشعب والضمير العالمي (ضمير حقوق الإنسان والحيوان)؟

تجيب العولمة على ذلك بالنقاط التالية:

أ ـ عندما لا يستوعب الأنا الآخر.

ب ـ عندما لا تمارس الديمقراطيّة بإرادة وبشفافيَّة.

ج ـ عندما لا تفتح الدّول أبوابها الحدوديَّة أمام التجارة العالميّة وتصبح ميادين لممارس السّوق نشاطه بلا قيود.

د ـ عندما لا تكون الأديان والأعراف قيودًا على من لا يُشرِّعون بها.

هـ عندما لا يتم الحفاظ على البيئة.

ع ـ عندما يحاول البعض أن يَصُم آذانه عما تقوله المنظمات الدوليَّة.

و ـ عندما يحاول البعض الامتناع عن ارتداء قميص القيد الذّهبي (شروط وضوابط).

وعليه سيكون التدخل مباحًا ومتاحًا متى ما يتراء للذّات العالميَّة التي لم تكن مكوّنًا عامًّا، بمعني: أنَّها لم تكن مكوّنًا من الأديان والأعراف والثقافات العالمية المتنوّعة؛ ولأنَّها كذلك فلن يكون حُكمها مرضيًا للجميع، ومن هنا فإذا أردنا للذّات العالميَّة النجاح في التحكيم يجب أن يكون من وراءها ضميرًا عامًا يتكوّن من القواسم المشتركة للأمم والشّعوب بمختلف معتقداتها وأعرافها وثقافاتها وما يكوّن خصوصيّاتها المتنوّعة.

وإذا حدث ذلك عن إرادة ورغبة عالميّة فمن بعدها يصبح التدخل مرضيًا بإجماع الضمير العالمي، أمَّا كما حدث مع العراق فهذه حرب مشتعلة بين الأنا العراقيّة والذّات المجتمعة، والتي لو كان للضّمير العالمي وجودًا لتدخل لوقفها بعد تصحيح الانحراف، أي: من العيب أن تمتد العراق خارج حدودها إلى دولة الكويت، ومن العيب أن يستمر قصف العراق بجيوش لم تكن نتاج الضمير العالمي.

ولذا فإنَّ امتداد العراق على حساب امتداد الكويت يعد قيد على حريّة الكويتيين، والذي لو لم يُفك بإرادة كان من الواجب كسره بقيد أكثر قوّة، وكذلك امتداد ما يُسمى بالقوات الدوليّة على حساب امتداد العراق

داخل حدوده يُعد قيدًا يجب أن يُفك ليمارس الشّعب العراقي حريَّته بإرادة أو أن يُكسر بالقوّة.

ومن هنا فإن المشكلة التي حدثت بين الدولتين العربيتين تستوجب تدخلًا، وكان ينبغي أن يكون سريعًا، ومن جامعة الدّول العربيّة، ولكن الضمير الذي لا يمتلك القوّة التي يجب أن تُستخدم لتصويب المنحرفين فإنَّ مثل هذا الضمير في كثير من الأحيان يلتجئ إلى التأنيب واللوم لعدم امتلاكه القوّة الحازمة عند الضرورة.

وبخروج الأمر عن المستوى العربي إلى المستوى الدّولي، جاء التدخل العسكري الأجنبي وضربت العراق وانكسر جيشها، ومن ثمَّ وضع القيد على الشَّعب العراقي بعد أن فُك عن الشّعب الكويتي، ومن هنا يقال: لو كان الغرض فك القيد أو كسره فالأمر مقبول ومرغوب، بل ويسعد النَّاس، ولكن أن يتم التدخل بشعار من أجل فك القيد أو كسرة، وتصبح النتيجة المترتّبة على ذلك بقاء القيد لسنوات على الشّعب العراقي.

إذن: كسر القيد بالقيد توجّه تستهدفه العولمة، وتم استنباطه من التنظير الليبرالي الأمريكي الذي يريد من الجميع أن يرتدوا قميص القيد الذّهبي كما هو تصميمٌ عالمي دون زيادة ولا نقصان، ولأنَّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة رأت نفسها قوّة أولى في العالم، بدأت تسوُق مقولاتها القديمة، السُّوق والنّظام الحرّ، وتروّج لها وكأنَّها اطروحات جديدة لحلّ مشكلة الإنسان، غير أنَّه في حقيقة الأمر هي الرأسماليّة والمنافسة الحرة، والمجتمع الطبقي، والسيطرة على

الاقتصاد العالمي وغزو الفضاء بهدف غزو الإنسان، ولكن هذه المطامع لم تعد بيد أمريكيا لوحدها فالصّين منافس قوي وقوّتها متسارعة جدًا، وروسيا لم تعد كما هي بعد سقوط الاتحاد، بل قد استرجعت أنفاسها ولا إمكانيّة لتجاوزها وهي قادرة على قبول التحدّي ودفع الثَّمن.

ولأنَّها العولمة فلها من الميز ما لها، ولها من العيوب ما لها؛ ولذا فقد وضعت شعوب العالم ودوله بين مواقف ثلاثة، التأييد، الرّفض، والانتظار، وعرف الجميع أنَّ العولمة تستهدف كل كبيرة وصغيرة بالتغيير على المستويات المحليّة وعلى المستوى العالمي كوحدة واحدة من خلال منظماته الدوليّة، فعلى المستوى السياسي تعتبر العولمة أنَّ الحكّام غير الديمقراطيين هم قيودًا لا بدّ وأن تُفك بإرادة أو أن تُكسر بالقوّة، ولا يحق لأيّ حاكما أن يستمر على سدّة الحكم إلى ما يشاء، بل عليه أن يترك هذا الأمر إلى من يتعلّق الأمر بهم وفي حريّة تامّة مع وافر الشفافيَّة.

ومن عيوبها لم تهدف العولمة من وراء كسر القيد بأن تعيش الشعوب الحريّة التامّة، بل تهدف من وراء ذلك أن تتم السيطرة على الجميع بثقافة واحدة، وهذا بدون شك قيد عالمي بدلًا من قيد الحاكم المحلي أو الحكومة المحلية، ولهذا فكسر القيد بالقيد هو الآخر قيدًا، أي: لا فرق أن يكون القيد حديديًّا، أو برنزيًّا، أو ذهبيًّا، ومن هنا جاءت تنظيرات العولمة لتقول للشّعوب: جئنا من أجلكم، ولهذا سيتم تغيير القيد الحديدي القديم بقيدٍ ذهبي جديد، ومن ثمَّ فاقت الشعوب وعرفت أنَّ المستهدف من العولمة هو كسر القيد الحديدي بقدٍ ذهبي؛ ولذا فلا إمكانيّة للخروج عن القيد.

وكسر القيد بالقيد لا يقتصر على جانبٍ واحدٍ كالجانب السياسي، بل يتضمن أيضًا الجانب الاقتصادي والاجتماعي، فدول الهامش (الدّول المتعاطفة وغير المنتمية) وهي التي كان يُسمح لها بالامتداد في منطقة الهامش الذي يربط بين حلفي وارسو والأطلسي، ولا يُسمح لها بالتجاوز في غير ذلك، لترسم سياساتها كما تشاء في حدود الحركة التي يسمح بها القيد المتفق عليه بين القطبين في ذلك الزّمن.

ومن هنا أقول: إنَّ تلك الدّول التي انفكّ القيد الماركسي عنها أصبح لزامًا عليها ارتداء قميص القيد الذهبي المخطط باللون الأزرق والمرصّع بواحد وخمسين نجمة بيضاء، وعليها أن تتحرّر من القيود الاقتصاديَّة التي كانت تنتظم عليها، حتى ولو كانت تتمشى مع ظروفها وإمكانيّاتها المحليَّة، وأن تفتح أبوابها على مصارعها للشركات العابرة للحدود ذات النظرة الفاحصة في احتياجات الإنسان ومتطلبات السّوق والقادرة على توفير كل ما يُشبع الحاجات المتطوّرة والرّغبات المتنوِّعة، ومن ثمَّ فالحريّة كل الحريّة لمن يستطيع أن يشتري، ولا حرية لغير القادرين إلا في حدود ما تستطيع دفعه صناديق الضمان الاجتماعي وفقًا لسياسات القيد الذهبي الذي لا يصدى كما هو حال ذلك القيد الحديدي الذي تآكل من الصداء.

وهكذا حال القانون مع أنَّه وسيلة جيدة لتنظيم العلاقات الاجتماعيَّة في البلدان إلا أنَّه في كثير من الأوقات يُعد قيدًا على الأفراد والجماعات بشكل عام، وبخاصّة إذا لم تشارك الشعوب في مناقشته وإقراره، والقانون في الدّول المتخلفة ثقافيًّا وعلميًّا يعتبر هو القيد الحديدي الذي تُكبّل به حريَّة المجتمعات، وهو الوسيلة القويّة التي يستخدمها الحكام في إنزال العقوبات

على المطالبين بممارسة الديمقراطيَّة؛ ولذا جاءت تنظيرات العولمة صريحة تجاه الحكومات التي لم تفك القيد عن شعوبها، فتنظيرات العولمة تقول: لا بدَّ وأن تفك كل القيود التي وضعتها الحكومات على الشعوب، وإلَّا بالقوّة الدوليّة المزعومة ستُكسّر كل القيود الحديدية بضربات القيد الذهبي، ليصبح القيد الوحيد وبلا منافس، وهنا أقول: ليس كل الافتراضات والفرضيَّات قابلة للتحقّق، بل منها ما يرفضه الواقع؛ كون الواقع أعظم حُجَّة؛ ولذا بما أنَّ القيد الذهبي نوع من المعادن، إذن: فحرارة الرّفض كفيلة بصهره.

مَنْ يُسائل مَنْ؟

في الأنظمة الدّيمقراطيَّة المجالس النيابيَّة والبرلمانات هي التي تُسائل الحكومات وقممها السُّلطانيَّة، أمّا الحاكم في الدّول غير الديمقراطيَّة فلا يسائله أحد؛ لأنَّه لم يأت عن طريق أحدٍ منهم، وهكذا حال الأمر في بعض الدول الناميّة التي وصل الحكام فيها إلى سدّة الحكم بطرق الانتخابات الرَّئاسيّة فإنَّ دور الشّعب ديمقراطيًّا ينتهي عند هذا الحد ولا يتجاوزه أبدًا، مما يجعل لا مسائلة لأجهزة الدولة إلَّا من قبل جهاز من أجهزتها الخاضع للأوامر، وهكذا حال الشركات العابرة وأسواق السوبر ماركت لا تُسائل من خارجها؛ ولذلك فهي تؤثّر ولا تتأثّر، تؤثّر في الدّولة وسياساتها وفي الوقت ذاته لا تود أن تتأثّر بها.

إذن: ديمقراطيًّا ووفقًا للمساءلة والمحاسبة القانونيّة في ظل العولمة لا يحق لأحد أن يسائل أو يحاسب آخر إلّا إذا كان سببًا في تمكينه من سدّة الحكم أو رأس الإدارة، أمَّا غير ذلك فلا تجوز المسائلة والمحاسبة إلّا للعابثين والخارجين عن القانون سواء أكان القانون عن إرادة أم عن قوّة، ولهذا فلا

سيادة إلّا لمن يخضع للقانون، أمَّا الذي فوق القانون فلا سيادة عليه، فالحاكم في عصر العولمة يخضع للقانون العام، أمَّا المستثمرين وأصحاب الشركات العابرة فلا يخضعون للقانون إلَّا بما يحقق لهم السّلامة وفق تسهيلات ضمانيَّة.

وعليه فإنَّ ممارسة الديمقراطيّة أصبحت مقتصرة على إخضاع الحاكم للمسائلة والمحاسبة القانونيّة وعدم إخضاع الأسواق الكبرى والشركات متعدّدة الجنسيَّات إلى هذه المسائلة والمحاسبة القانونيّة؛ ولذا في الوقت الذي يخضع فيه طرف إلى هذا الإجراء من أجل ممارسة الديمقراطيّة في الوقت ذاته يخرج طرف آخر من أجلها.

والمعادلة التي قد تحتاج إلى ضبط وإلَّا سيختل التنظيم الاجتماعي مرّة أخرى، أنَّ زمن ما قبل العولمة كان الشّعب غير قادر على السيطرة على الحاكم، ومن ثمَّ كان الترحيب حارًّا من قِبل شعوب المجتمعات النامية بتنظيرات العولمة التي يعرفون أنَّها ستُمكِّنهم من كسر القيد بالقيد، أمَّا في الزّمن الذي ستزدهر فيه العولمة ستكون المعضلة كيف يمكن للحاكم أن يضبط الشعب من الانفلات بعد أن فُكت قيوده، والتي من الصَّعب أن يقبل بالعودة إليها، وهنا قد تتدخل قوّة خارجيّة من جديد تحت مبررات من أجل ضبط النظام واستقرار الأمن.

وعليه: فإنَّ العولمة تحتاج لضبط المعادلة ذات الأبعاد الثلاثة وإلَّا بالضرورة سيختل التوازن من جديد، وهذه الأبعاد هي:

1 . الشّعب.

2 . الحاكم.

3 . القطيع الإلكتروني.

في عصر ما قبل تنظيرات العولمة كان الحاكم هو المسيطر على الشّعب؛ ولذلك فالشّعب دائمًا يتمرّد ويثور بين الحين والأخر على هذه المعادلة ثنائية البعدين من أجل أن يقلب المعادلة ويسيطر على الحاكم أو أن يتمكّن من ممارسة الديمقراطيَّة.

وفي عصر العولمة أُدخِلَ متغير ثالث وهو القطيع الإلكتروني الذي يود أن يسيطر بقوانين عالمية على الحاكم من جهة وعلى الشّعب من جهة أخرى، وقد تتحقّق هذه المعادلة في البداية ولكنّها لا بدَّ وأن تنتكس في النهاية؛ ذلك لأنَّ الشَّعب سيأخذ موقف المتفرّج في البداية إلى أن تتم السيطرة على الحاكم وبخاصّة شعوب الدّول النامية، ثم سيقول الشعب كلمة الفصل في النهاية، وهي لا للسيطرة، وعليكم بالرّحيل، وإلَّا ستكون القوّة كلمة حق بيننا (ارحل خير لك من أنْ تُرحَّل).

ولذلك في عصر العولمة لا إمكانيّة للحاكم أن يسيطر على الشّعب والقطيع الإلكتروني كما يتراء له، وكذلك لا إمكانيّة للشّعب غير المنتج أن يسيطر على الحاكم والقطيع الإلكتروني كما يتراء له، ولا إمكانيَّة للقطيع الإلكتروني هو الآخر أن يسيطر على الحاكم والشعب كما يتراء له؛ ولذا فيجب سيطرة الجميع على الأمر بقوانين تضمن لكلٍّ حقوقه وواجباته ومسؤوليّاته من أجل أن يصبح الامتداد في حدود الهامش المسموح به للجميع وفقًا لما ينبغي إقراره عن إرادة.

إذن: فلا حلّ إلّا بممارسة الديمقراطيّة وبكل شفافيَّة، وعلينا بقبول ذلك حتى وإن حدث التعثّر بداية، وعلينا بقبول المساعدة بغاية النهوض وبلوغ الحلّ الذي يؤدّي إلى الاعتماد على الذّات، "ففي أيَّام الحرب الباردة كان لزَّعماء الدّول النامية رعاة من القوى العظمى الذين قد يساعدونهم على البقاء أيا كانت الطريقة التي يديرون بها بلدانهم، ولكن هؤلاء الرُّعاة قد ذهبوا، ومن ثمَّ فلن تساند الجماهير الحكومات الضعيفة على البقاء لفترة طويلة"[7]، وهكذا سيكون حال المستبدّين والمحتكرين للسّلطة، فكما ودّعت الجماهير شاه إيران، وسوهارتو في إندونيسيا، وصدام حسين في العراق، ومعمر القذافي في ليبيا، وعلي عبد الله صالح في اليمن فإنَّها سَتُوّدِع آخرين، وكل من ضحك كثيرًا يوم أن كبَّلَ حريّة الآخرين فعليه أن يعرف أنّه سيبكي أكثر يوم أن يُفك القيد عنهم.

وعليه: "سوف يُضيّق قميص القيد الذّهبي الاختيارات السياسية والاقتصاديّة أمام أولئك الذين يتولّون السّلطة إلى أقصى حدّ ممكن، ولهذا السبب تتزايد صعوبة العثور على أيّ اختلافات حقيقية بين الأحزاب الحاكمة وأحزاب المعارضة في الدول التي ترتدي قميص القيد الذهبي، وهكذا تتقلّص الاختيارات السياسية أمامها إلى الاختيار ما بين البيبسي كولا والكوكا كولا"[8]، ومن ثمَّ أقول: بالطبع عندما تكون الأهداف واحدة والمبادئ واحدة بالضرورة ستكون السياسة واحدة، فسواء حكم الحزب الديمقراطي أو حكم الحزب الجمهوري، فعندما تكون أهداف الحاكم لا

[7] المصدر السابق، ص 557.

[8] . المصدر السابق. ص 152.

تختلف عن أهداف ما يُسمى بالمعارض تكون النتيجة واحدة، وما الاختلاف الذي يبدو بينهما إلّا كالاختلاف الذي يبدو بين البيبسي كولا والكوكا كولا، وإن لم يعجبك تناول الأولى فعليك بتناول الثانية التي تكاد أن تماثلها، نعم قد سقط الرئيس ترامب أمام الرّئيس جو بايدن، ولكن مؤسّسات الدولة الأمريكية واستراتيجياتها لم تسقط، والرأسماليّة هي الرأسماليّة ولا شيء يتبدّل (البيبسي كولا أو الكوكا كولا).

الأنا الواهمة تقوّض الإرادة:

ولأنَّ مفهوم الإرادة يرتبط بالحريَّة ممارسةً، فإنَّ تقويض الإرادة يعدُّ تقويضًا لممارسة الحريّة؛ ذلك لأنَّ التقويض إحاطة ومحاصرة لا تسمح للإرادة أن تتمدّد كما ينبغي لها أن تتمدّد؛ فهي تحدّ منها، أو أنَّها تمنعها منعًا باتًّا، فالإرادة على الرّغم من أنَّها قيمة إنسانيّة حميدة، فإنَّها عبر التَّاريخ تتعرّض إلى التقويض والانكماش.

ولهذا نزلت الرّسالات الإلهيَّة من أجل تحريرها من ذلك التقويض الذي جعل النَّاس يتّخذون آلهة من دون الله؛ فكان التوحيد كسرًا لتلك القيود والأطواق من أجل حرّية الإنسان، ولكنَّ الصراع بين الخير والشرّ لم ينته بعد مع أنَّ الحقَّ أصبح بيّنًا والظُّلم بيّنًا، فاهتدى من اهتدى، وكفر من كفر، وأشرك من أشرك، وضلّ من ضلّ، وطغى من طغي؛ ولذا فالذين اهتدوا اختاروا الإصلاح والإعمار والبناء والفلاح سبيلًا، والذين ضلّوا وطغوا اختاروا الفساد والإفساد وسفك الدّماء بغير حقّ سبيلًا، ولهذا الصّراع والصّدام بين المصلحين والمفسدين دائمًا يشتدّ إلى أن يحسم الأمر، الذي به تتخلّص الشُّعوب من أولئك المارقين والظّلمة.

فالمارقون الذين تمكّنوا من الاستيلاء على مقاليد السُّلطة في بلدانهم حكموا النَّاس بإرادة ضالة، كما كان حال فرعون الذي قال كما جاء في القرآن الكريم: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}[9]، فمثل هؤلاء لا يرون شيئًا يعلو على رؤاهم، ومن يخالف رؤاهم ضلّ، ومن يضلّ عن رؤاهم المخالفة للحقّ تواجهه المكائد، والمكر، والدّسائس وصولًا إلى إقصائه بعد أن يلبّس بكمٍّ من التّهم التي تلفّق له؛ ليُدانَ بتلك القوانين التي سُنّت من أجل الطّاعة للظّلمة، ولكن لأنَّ هذه الأفعال مضادة لنواميس الحياة وسُننها الطبيعيَّة، ترفضها الإرادة الإنسانيَّة كلّما كسرت القيد الذي يكبّلها ويحول بينها وممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي؛ ولذا عندما يبلغ الإنسان الصّحوة لا بدَّ له أن يرفض بقوّة الإرادة كلّ أسباب القيود وعللها، كما يرفض مَن قيّد النَّاس بها، ومَن أمر بوضع القيد في الأيدي، والطوق في الأعناق.

ولأنَّ الإرادة قوّة فاعلة متى ما أطلق عَنَانُها بلا مظالم؛ فهي على علاقة قوّة مع قيمة الرَّفض وارتكاب أفعال التطرُّف، فالرَّفض كونه فعلًا متحقّقًا لا يكون إلّا عن إرادة، ولهذا فالإرادة هي القوّة الدَّافعة للإقدام على الفعل، والفعل مع أنَّه في دائرة الممكن يتحقّق بالقوّة، فإنَّه ليس دائمًا متحقّقًا بإرادة، فالإكراه والإجبار يقودان إلى تحقيق الفعل بالقوّة حتَّى ولو كان الفاعل غير راضٍ.

أمَّا إذا بلغ حال الفاعل درجة الرَّفض والتطرُّف فإنَّ الإرادة تكون ضمنيًّا متحقّقة بفعل الرَّفض والتطرّف، غير أنَّ الرَّفض أوَّل ما يتحقّق يتحقّق

[9] غافر 29.

قولًا، أمَّا التطرّف فيتحقق فعلًا، أي: إنَّ الرَّفض قول يُقال في مواجهة أو عن خطاب ورسالة، أو أن يكون مثل التطرُّف متحقّقًا فعلًا وعملًا وسلوكًا.

ولأنَّ الإرادة إشهار عزم مع وضوح نيّة، فالتطرُّف كونه فعلًا متحقّقًا قولًا وعملًا وسلوكًا يعد هو المعبّر الحقيقي والموضوعي عن مستوى الشخصيَّة الرّافضة والمتطرّفة.

وهنا تصبح الإرادة إعلانًا صريحًا عن امتلاك الرّافض لزمام أمر الرَّفض، ممّا يجعل الملاحظين والمقوِّمين خير واقفٍ على المشاهد والملاحظ، الذي يعكس حقيقة الرَّفض عن إرادة.

فالإرادة قيمة مشيئيّة اختياريَّة تتمركز على الرَّغبة والوعي، ومع أنَّ الإرادة موجبة فإنَّ المترتّب عليها اختيارًا قد يكون موجبًا وقد يكون سالبًا؛ ولذا فالإنسان بإرادته يؤمن، وبإرادته يكفر أو يُشرك، أو يضل، أو يسرق، أو يكذب، أو ينافق، أو يتطرّف، وكلّ هذه المتنوّعات اختياريّة، ولكنّها قد تكون عن وعي، وقد تكون عن غفلة أو جهل: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[10].

ومن هنا فقيمة الإرادة تصميم واعٍ يُمكِّن الفرد والجماعة والمجتمع من اتّخاذ القرار الذي يتعلّق بأمرهم، سواء أكان هذا الأمر سياسة داخليَّة أم خارجيَّة أم سلمًا أم حربًا؛ ولهذا لا يُتّخذ القرار إلّا بعد معرفة تامّة بما يجب وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ومن ثمَّ فبالإرادة تُحدّد الأهداف،

[10] الكهف 29.

وتُرسم الخطط، ويتمّ الإقدام على تنفيذها بكلّ حرّيَّة، حتى يتم بلوغ الغايات المرتقبة ونيل المأمولات المأموله.

وعليه: تعد الإرادة قيمة الحرّية في اختيار الخير أو الشرّ أو اتخاذ المواقف المحايدة بأسباب عدم التبيّن، أو لأسباب الخوف والنّفاق، ومن ثمَّ لا حرِّيَّة دون إرادة، ولا إرادة دون حرِّيَّة، وهنا تكون الإرادة قيمة حميدة ذات خصوصيّة؛ وذلك لتعلّقها بالإنسان الحرّ وعلاقاته بما يُقدَّم إليه من اختيارات متنوّعة، وبما يرغب وما لا يرغب، أمَّا الحرّية فيغلب عليها الطّابع السّياسي الذي قد يجد الإنسان نفسه معها في حالة تكيُّف، حتَّى وإن كانت لا تمده بما يحقّق له التّوافق.

وعلى المصلحين والتربويين وولاة الأمور أن يعملوا على تقوية إرادة الذين يتعلّق أمرهم بهم، حتَّى لا يكونوا منهزمين في أثناء مناقشتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، أو يكونوا مستسلمين لأمرٍ واقعٍ ليس بموجب، وأن يعملوا جادّين على تفطينهم من الغفلة التي قد تلمّ بهم، وتبعدهم عن ممارسة حقوقهم، وأداء واجباتهم، وحمْل مسؤوليَّاتهم دون إكراه وظلم.

إذن، تُعدّ الإرادة قيمة تعاقديَّة بين التخيير والاستطاعة، فينبغي أن تقوَّى لأجل أن تتّسع الهوة بين الأفراد وما يؤدّي بهم إلى الإكراه أو الإجبار والإقصاء، فبالإرادة تمارس الحرّية، وتتأكد السّيادة، ممّا يجعل النتائج المتوصّل إليها مرضية للفاعل حتَّى وإن كانت نتائجها سالبة.

ومع أنَّ الإرادة تُمكِّن من ممارسة الحرّية اختيارًا، فإنَّ الإرشاد للحقِّ بالحقِّ حقٌّ على من يَعلم، ويؤمن، ويُدرك العواقب، فهناك القاصر والجاهل

والمغرّر به، فلا داعي للإفساد، ولا داعي للتّسفيه، أي: لا داعي أن يسفّه الحاكم إرادة الشّعب في التعبير عن رأيه، ولا داعي للقمع بما أنَّ الإرادة لم توظّف في باطل، أو سفك دم بغير حقّ، ولا داعي للظُّلم بما أنَّ النَّاس لم يتجاوزوا الحقّ.

ثمّ من واجب المتعلِّم أن يُعَلِّم، ويُعلِم من لم يتعلَّم، ولم يَعْلَم بما عَلِم من معارف خيِّرة تسهم في تقويّة الإرادة وتوجّهها لما يفيد وينفع الجميع، وعلى أولياء الأمور حقّ الرّعاية الحقّة، فالأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام بشّروا وهدوا وبلّغوا ما أُنزِلَ عليهم من وحيٍ، وحرّضوا به الأقوام والشّعوب والقبائل وسكان القرى والمدن والكافّة، وتركوا للإنسان الحريّة الإراديّة في الاختيار طاعة لأمر الله؛ ولذا فمن يطع الله لا يمكن أن يقبل بطاعة من دونه إلّا لأمرٍ هو جزء منه: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدّين قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[11].

ومع أنَّه في دائرة الممكن امتلاك الإرادة هو امتلاك للحرّية الشخصيَّة، فإنّ هذه الحرّية لا وجود لمطلقيّتها، فالإطلاق أمره بيد خالق الإطلاق، ولهذا في الحياة الدّنيا هناك من كَفَرَ وهناك من سيكفر إرادة، أمَّا في الحياة الآخرة فلكلٍّ حسابه ثوابًا أو عقابًا، ولأنَّ الإرادة فضيلة خيّرة أمر الله تعالى رسوله الكريم عليه الصَّلاة والسّلام أن لا يفرض شيئًا على النَّاس، بل عليه البلاغ، وعليه بالمشاورة في كلّ أمرٍ يتعلّق بالنَّاس، ثمّ جعل أمر النَّاس من بعده شورى

[11] البقرة 256.

بينهم؛ إذ لا إكراه في الدين: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}12 ثمّ قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}13.

ومع أنَّ الإرادة تستوجب إطلاق العنان بلا ظلمٍ، فإنَّ السَّاسة غير الديموقراطيين عبر التَّاريخ يقوِّضونها بلا حُجَّة، ولهذا لا يمكن أن يستقرَّ لهم نظامٌ، ولا يمكن أن يصنعوا مستقبلًا مأمولًا.

وعليه: نلاحظ أنَّ كلّ مقيدي الإرادة عبر التَّاريخ هم معادون لممارسة الحرّية، ومع ذلك فالزّمن كفيل بترويضهم، وبخاصّة إذا تمكّنت إرادة الشّعب من صُنع المفاجئة التي لم يلتفت الطغاة إليها مع وجودها بين أيديهم بيّنة في دائرة غير المتوقّع.

ومع أنَّ الإرادة لا إكراه فيها إلّا أنَّ المعرفة الحقّة تُسهم إسهامًا كبيرًا في استنارة الإرادة بالموجبات تحليلًا وتحريمًا، ونفعًا وضرًّا حتَّى يتمَّ الأخذ بما يجب عن إرادةٍ ووعيٍ، ويتمّ الانتهاء عمَّا لا يجب إرادة ووعيًا؛ ولهذا فبالإرادة يتمّ تبيّن الحقِّ، والحكم به عدلًا، وكلّ في دائرة الممكن حسب الاستطاعة.

ولأنَّ الإرادة فطرة لا تقبل ظلمًا، وجب سيادة الاعتبار بين الأنا والآخر، حتَّى لا تتصادم الإرادتان؛ إذ ليس كلّ ما يُراد بإرادة يجب أن يؤخذ أو يتمّ، بل يجب أن يُقدّر الآخر الذي يمتلك الإرادة ومعطياتها ومستوجباتها كما يمتلكها الأنا، وإن لم تراع قيمة الإرادتين تقديرًا واعتبارًا واعترافًا يحدث

---

[12] آل عمران 159.

[13] الشورى 38.

الرَّفض، وقد ينجم الصدام، ولتوضيح دلائل الإرادة قال تعالى: {وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا}14.

في هذه الآية الكريمة شرطان للإرادة:

. الشرط الأوّل: على المرأة بقوله تعالى: (إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ) أي: إن وهبت نفسها إرادة للنّبي أن يستنكحها.

. الشرط الثّاني: على المرأة التي بإرادتها شاءت أن تهب نفسها للنّبي، أن تحترم وتقدّر إرادته تجاهها: (إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا)، أي: عليها أن تعرف: هل هو راغبٌ أن يستنكحها؟ فإن كان راغبًا تطابقت الإرادتان، وإن لم تتطابق الإرادتان، فعليها تقدير ذلك تقديرًا عاليًا، ولهذا عند المسلمين عقد النّكاح يستوجب الموافقة الإراديَّة من المستهدفين بعقد النّكاح؛ لتكون قيم الاحترام، والاعتراف، والتقدير، والاعتبار سائدة بين الأنا والآخر (الزّوجين).

إذن: فالإرادة معرفةٌ ووعي بما يجب وبما لا يجب، وهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسؤوليَّات، وهنا تكون الإرادة وثيقة الصّلة وعيًا بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

ومن هنا فالإرادة قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهانًا بهم، سواءً أكانوا على دراية بذلك، أم لم يكونوا

14 الأحزاب 50.

على دراية؛ ولذا فمن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظ لن تكون له حاشية إلّا من المتّعظين، ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقّع، فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين.

ولأنَّ الإرادة قيمة إنسانيّة فلا ينبغي أن تقوّض من أحدٍ، وهنا تكمن قيمة الإرادة في أنَّها مشبعة للحاجة، وفي المقابل عندما تقوّض تصبح حاجة في ذاتها، أي: إنَّها حاجة لكلّ إنسان على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي، وبها تُشبع الحاجات، التي ستظلُّ مشبعاتها مطلبًا إلى أن يتمّ الحصول عليها إرادة، أو أن يتمّ انتزاعها بالقوّة انتزاعًا.

إنَّ الإرادة المسؤولة هي الإرادة الواعية، التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباءٍ جسام، ومن ثمّ لا يترتّب ندمٌ عليها، ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحيَّة تعيد الأمور إلى ما يجب، وفي مقابل ذلك استثناء إفسادي يؤدّي إلى ما لا يجب، وللتوضيح أقول:

القاعدة الإصلاحية: هي التي تقود إلى الإصلاح وبلوغ الحلّ، ممّا يجعل النَّاس يتمسّكون بما يتعلّق بشؤونهم، ومنها:

. التّمسك بالدِّين والدِّفاع عنه، حتَّى ولو كان بعض المنتمين إليه غير ملتزمين بأداء معتقداته.

. صون العِرض، والدّفاع عنه.

. التمسّك بالهويَّة، والدّفاع عنها.

. صون الوطن، والدّفاع عنه.

. ممارسة الحقوق، وأخذها بإرادة أو بقوّة.

. أداء الواجبات في مقابل حقوقٍ تمارس، وتأديتها بإرادة أو بقوّة.

. حمْل المسؤوليَّات يجعل المواطن مركزًا ولا آخر غيره.

. إصلاح الأرض وإعمارها وسلامة بيئتها بُعدٌ إنساني، ومسؤوليَّة عامَّة.

. تعلُّم المفيد والأخذ بما هو مفيد يؤسّس للموضوعيَّة قاعدةً بين الأنا والآخر.

وفي مقابل هذه القواعد تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا أو الآخر، ممّا يجعل مَنْ وضع نفسه مهيمنًا في خانة الاستثناءات مطاردًا، حتَّى وإن نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيًا سلامة الوطن، والأمن العام، وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتَّى وإن نصَّب نفسه واعظًا ومرشدًا بما أنَّه في دائرة الاستثناءات؛ ولذا سيظلُّ مطاردًا بالقوّة حتَّى يعود إلى ما يُرسِّخُ تلك القواعد التي تنظم علاقات الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة عن إرادة.

ولذا فكلّما اشتدَّت المطاردة واشتدَّت التأزُّمات، وهُدِّدَ الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات أصبح الموت عندهم مطلبًا مع توافر الرَّغبة؛ ولهذا يفقد الشّرطي سلاحه، والواعظ حُجَّته، التي بها يلاحق الآخرين ويصبح هو الضحيَّة بلا ثمن.

وعليه:

إنَّ الموت الذي هو سلب الحياة، يتحوَّل إلى قيمة عالية تنال الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملًا يرجو الإصلاح بتحرير الوطن، أو صدّ

خطر يحاك ضدّه، أو ضدّ الشّرف، والدّين، والقيم الحميدة، والفضائل الخيِّرة.

وعليه: إنَّ المتهيّئين لأداء الأفعال بإرادة هم الذين يمتلكون زمام أمرهم، فيستطيعون اتخاذ القرار المناسب من وجهة نظرهم التي قد لا تكون سليمة ومناسبة لأداء الفعل، أو الإقدام عليه، فيدفعون الثَّمن مضاعفًا، حتَّى يكتشفوا ما يجب، ليتخذوا إليه سبيلًا، ويكتشفوا ما لا يجب، وينتهوا عنه إرادة دون تردّد، وإن تردّدوا تزداد التأزُّمات تأزُّمًا، ممّا يرتِّب على هذه التأزُّمات أفعالًا في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع تملؤها المفاجآت التي في كثيرٍ من الأحيان تكون نتائجها مؤلمة.

ولأنَّ الإرادة لا تقف عند حدّ اتخاذ القرار، فهي تمتدّ لتنفيذه، وإلى الأسلوب المناسب لذلك، والطريقة التي تُتَّبع إجرائيًّا وسلوكيًّا حياله؛ ولذا فالإرادة دائمًا سابقة على الفعل وبها يُنفَّذ، أي: لو لم تسبق الفعل قد لا يُنفّذ أو يُنفّذ بأثر سالبٍ، ولهذا فالإرادة قوّة موجبة لا ينبغي الإغفال عنها، وعن أهميّتها، وعمّا يترتّب على أوجه استخداماتها المتعدّدة سلمًا وحربًا وتطرُّفًا، ولا ينبغي أن تقوّض بأيّة علّة.

ولأنَّ التنفيذ فعل فقد يكون تنفيذه بإرادة، وقد يكون بالإجبار والإكراه، ولكلٍّ ردّة فعلٍ موجبة وسالبة ولكلٍّ ثمنه، ولأنَّ ثمن الإكراه سالب؛ فيجب الانتهاء عنه حتَّى في الدّينِ المنزَّل من عند الله تعالى؛ حيث لا إكراه في الدين، ولهذا بالإرادة ينبغي أن يُقيِّم الأنا والآخر ما يفعلون وإلّا سيتعرَّضون إلى التقويم، الذي لا يكون إلّا حيث ما يكون الاعوجاج.

وهنا فالتقييم هو مراجعةٌ دقيقةٌ للحالة والمعطيات، التي قد تكون مناسبةً لزمانٍ، وقد لا تكون ذاتها مناسبة لزمانٍ آخر، ومن يتّقِ الحقَّ يجد الحقُّ له مُخرِجًا، ومن يقبل أن يُقيّمَ ما وصل إليه يتمكَّن من بلوغ ما هو أعظم، ومن لا يقبل سيكون الزّمان كفيلًا بترويضه كما روَّض كثيرًا من الظّلمة والمتكبّرين.

وعليه: لا قيمة لممارسة الحقوق دون إرادة، ولا قيمة ولا أهميَّة لأداء الواجبات ما لم تكن عن إرادة، ولا قيمة ولا وأهميَّة لحمْل المسؤوليَّات ما لم تكن هي الأخرى عن إرادة، أي: لا قيمة، ولا اعتبار، ولا تقدير، ولا اعتراف لأيّ شيء بالإكراه، والإجبار، والإرغام بغير حقّ.

الأنيّة فتنة نائمة:

نعم أنَّ الأنانيَّة تكمن في النّفس كما تكمن الفتنة فيها، أي: إنَّ الأنانيّة لا تكون مخفيّة إلَّا في النفس، وهكذا بالتمام حال الفتنة تختفي في النفس كما يختفي الجمر تحت الرماد؛ ولذا فالشخصيّة الأنانيّة عبء على كواهل الغير؛ كونها تأخذ ولا تعطي، تفسد ولا تصلح، ومن ثمَّ فلا تحيّرها الفتنة ولا تقلقها.

ولهذا تتجسّد الفتنة في أقوال الأشخاص وأفعالهم كما تتجسد الأنانيّة فيها وفي سلوكيَّاتهم، وأعمالهم المتخالفة مع الفضائل الخيّرة، والقيم الحميدة، والأخلاق الإنسانيَّة.

ومع أنَّ وراء كلّ فتنة سرًّا، فإنَّها لا تكون سرًّا خافيًا، فهي أوَّلًا: المعلنة في الصدور الكامنة فيها، وثانيًا: المتناقلة على الألسن المسوّقة لها أنانيّة، وثالثًا: هي سيدة الميدان نزاعًا وخصامًا واقتتالًا.

ولأنَّها الفتنة النّائمة في النفوس أنانيّة؛ فهي تنام مرّتين:

1. مرّة في الصدور؛ حيث تُنسج وتختبئ.

2. مرّة في التَّاريخ؛ حيث تطوى مع طي صفحاته.

ولهذا فالفتنة كما تنام في التَّاريخ تنام في الصدور، ولأنَّها النَّائمة، فهي على أعتاب الإيقاظ، أي: بالنّسبة للنَّائم لم يكن بعد النَّوم إلّا الإيقاظ، ومع ذلك قد يحدث الإيقاظ قبل موعده من قِبل موقظٍ مُفزعٍ كما هو حال الفتنة التي يتمّ إيقاظها من قِبل مُفزعين، وهكذا حالها كحال الجنين في رحم أمّه لا بدّ وأن يخرج ولو بعمليَّة قسريَّة.

ولأنَّها الفتنة فهي لا تستثني أحدًا، الزوج وزوجه، والأب وأبناؤه، والأخ وأخوه، والصاحب وصاحبه، وهكذا هي في حالة امتداد إلى النّهاية، وأصحابها يستعجلون السّيئة قبل الحسنة: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا}[15].

إذن: الفتنةُ لم تكن شيئًا مفصولًا عن البشر، بل هي المولود المتمرّد من الأنفس المتلوّنة بدسائسها وأنانيّتها، فالنفس الأمَّارة بالسّوء مع أنَّها تعرف ما يجب فإنَّها تأمر بغيره: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا

[15] التوبة: 48، 49.

رَحِمَ رَبِّي}[16]. أي: إنَّ امرأة العزيز تعترف، ولم تبرّئ نفسها من ميلها إلى الشَّهوات التي دفعتها إلى الفتنة، والخيانة حين قذفت يوسف عليه السَّلام بقولها: {مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[17]؛ فهذا لون من ألوان الفتنة المخفيّة أنانيّة في الصدور.

وهناك لون آخر وهو الهوى، فالنّفس البشريَّة معرَّضة لأنْ تهوى فتنة، ومن ثمّ تأثر الحياة الدنيا، وتقع في الرّذيلة: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}[18]، الهوى فتنة، والله نهى عنه بقوله: {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى}[19]، في هذه الآية الكريمة: (أمر)، و(نهي) عن اتباع هوى النّفس للفتنة التي هي مظلمة: {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاس بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[20]، ولأنَّ في الهوى مخالفة الصِّدق، فهو المؤدّي للفتنة، ولكي لا تحلّ الفتنة بين المسلمين، اصطفى الله لهم نبيًّا لا ينطق عن الهوى: محمَّد رسول الله عليه الصّلاة والسَّلام: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}[21].

---

[16] يوسف: 53.

[17] يوسف: 25.

[18] النازعات: 40-41.

[19] – النساء: 135.

[20] ص: 26.

[21] النجم: 3 . 5.

ولأنَّ الفتنة أنفس متلوّنة، فمن ألوانها النّفس المسيئة: {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ}[22]. لا شكَّ أنَّ مرتكب السيِّئة جبينه لا يندى، ولهذا بيديه يسيء لنفسه كما يسيء للآخرين أنانيّةً.

وهناك النّفس السفيهة التي لا مكان عندها للتقدير: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}[23]، أي: من لا يأخذ بالحقّ ويتّبعه، يُسفِّه نفسه أمام الآخرين، ويقلل من شأنه، فلا تكون له منزلة، ولن تذكر أقواله وأفعاله إلّا فتنة.

ولأنَّها الفتنة، فهي النشطة في النّفس الظّالمة، التي لا تقف عند حدود ممارسة الحريَّة، بل تتجاوز المنهي عنه وتفعله: {وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ}[24]، هذه هي النّفس الظالمة فتنة، ومثلها فتنة النّفس المفترية الظالمة: {فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[25]. وهكذا هو حال النّفس المراودة، التي تراوغ بسوء نيَّة، والنّفس المراودة هي: النّفس الضّالة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[26].

إذن: الأنفس تتلوّن افتراء، وظنًّا، وكيدًا، ومكرًا، وظلمًا، وسفاهةً، وحسدًا، وأنانيّةً، وبين هذه وتلك: تُوسوِسُ بين النَّاس فتنة، فالنفس

---

[22] النساء: 79.

[23] البقرة: 130.

[24] يونس: 54.

[25] آل عمران: 94.

[26] يوسف: 30.

الوسواسة، هي التي تُلحق الظنّ بكلّ شيء أنانيّة، وهي التي تظهر الموافقة والرّضا، وتلاحقهما شكًّا وظنًّا، إنَّها النّفس التي يتهيأ لها الأمر في غير مكانه المناسب، فَتُظهِر ما لا تبطن: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}[27]؛ فالإنسان الفتنة يعتقد أنَّ ما يدسّه من دسائس بين النَّاس لن يكشف أوراقه أحد، ولكن لو كان الأمر كذلك، ما انكشف أمر من سبقه من المفتنين، ومع أنَّ الفتنة أشدّ من القتل، فإنَّ في حقيقة الأمر لكلّ بداية نهاية، وعندما يأتي اليوم الذي تنتهي فيه الفتنة، لن يكون من بعدها عنوان فتنة إلّا من كان سببًا في إيقاد نيرانها كما هو حال عبد الله ابن سبأ الذي بقي عنوانًا للفتنة واللعنات تلاحقه في حياته، ومن بعد مماته.

الانا مرتكز الخلاف:

الخلاف تباين في وجهات النّظر، وتباين في الآراء والمعتقدات، وهكذا دوائر الخلاف تتّسع وتتعدّد وتتلوّن حتى يشتدّ الخصام والنزاع بين المتخالفين ألما ووجعًا؛ ولذا فالخلافُ لا اتفاق بين المتخالفين على رأيٍ، أو مشروعٍ، أو قضيَّةٍ، أو معتقدٍ؛ مما يجعل أصوات الاعتراض بينهم ترتفع، وكأنَّ الأمر لا تحسمه حُجَّة، ويعدُّ الخلاف نتاج تباين الآراء عن الشيء الواحد، واتساع الهوة بين المتخالفين عليه، وكل خلاف أساسه الأنانيّة سواء على المستوى الفردي أم الجماعي.

والخلافُ كلمة جاءت من المخالفة، والمخالفة خروج عن المتّفق عليه، أو خروج عمّا يجب الاتفاق عليه، والمخالف من خالف العُرف، أو الدّين،

---

[27] ق 17.

أو القيم، والأخلاق، أو الدستور المجمع عليه من قِبل النَّاس، أو خالفها جميعًا؛ فتخالف مع أصحابها، وجعل من نفسه خصمًا في المواجهة.

ولأنَّ أمر الخلاف بغير حقٍّ أمرٌ يؤدّي إلى المواجهة، والرّفض فلا شكّ أنَّ النِّزاع، والشِّقاق، والخِصام، والصِّدام بين الأطراف المتخالفة سيكون على أشدّه.

ولا يمكن أن يصبح الخلاف بين النَّاس سائدًا إلّا إذا رأى كلّ طرف أنَّه صاحب الحقّ، وغيره لا حقّ له، فتؤخذ المواقف، وتتأزَّم الأحوال بين الأطراف؛ فتقود إلى المواجهة، التي ستكون بين متمسّك بحقّ، ومتمرّدٍ عليه، أو معتدٍ؛ ولذلك تُرفع الأصوات على الأصوات، ممّا يدفع الأطراف إلى ما هو أسوأ.

ولسائل أن يسأل:

لماذا يُرفع الصوت إذا كان لصاحبه حُجَّةٌ؟

أقول:

الحقّ دائمًا أعلى من أيّ صوت، ولأنَّه كذلك فلا داعي لرفعه؛ ولذا اترك الحُجَّة تعلو على كلّ شيء بما فيه صوتك، وإن كان صاحبك على حقّ فلا ترفع صوتك عليه، وإن رفعته فسيأتي اليوم الذي تعرف فيه أنَّك على باطلٍ، ومن ثمَّ فخذ حذرك، وعليك أن تميّز بين مفهوم الخلاف الذي يؤدِّي إلى الفرقة، والاختلاف الذي يؤدِّي إلى الالتقاء تنوّعًا، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ}[28]. قال (يُخالفون)، ولم

[28] النور: 63.

يقل: (يختلفون)؛ ذلك لأنَّ أمر الله تعالى نافذ في من يخالف أمره، فمن هذه الآية الكريمة يتّضح الخلاف كونه بين ثابتٍ ومهتزّ؛ فالثَّابتُ هو الحقّ: (أمر الله تعالى)، والمخالف للحقِّ مخالف للثابت؛ ولهذا فمن يخالف الأمر الحقّ؛ فهو المهتزّ عن الثَّابت اعتدالًا، وعدلًا.

وهنا جاء مفهوم الخلاف على مضمون من خالف عهده ووعده أنانيّة، أمَّا مفهوم الاختلاف فجاء على مضمون من اختلف عن أقرانه؛ ولذا يصبح معنى كلمة: (أَخْتَلِفُ) غير معنى: كلمة (أُخَالِفُ)؛ فالأولى، كمن يقول لك: أختلف معك في الرّأي، وهذه تؤدّي إلى وجوب المناقشة والحوار، أو الجدل حتى الاقتناع المشترك، والثَّانية: كمن يقول لك: أخالفك عليه، وهذه تؤدّي إلى الخلاف، والخصام، والنزاع[29].

والخلاف في دوائر التَّاريخ في معظمه سالبٌ، وهو من طبيعة البشر، فالبشر مع أنَّهم متميّزون بما هم فيه مختلفون، فإنَّهم فيما لا يُتّفقون عليه يتخالفون، وفي الوقت الذي يكون فيه الاختلاف متمّم قيمي بين النَّاس، يكون الخلاف مفرّق بينهم أنانيّة.

ولأنَّ الاختلاف من طبيعة المخلوقات كلِّها، فهو المخلوق في المخلوق أينما كان هذا المخلوق، أمَّا الخلاف فهو الملازم لطبيعة البشر اكتسابًا، ولأنَّه لا يتحقق إلَّا اكتسابًا فَلِمَ لا يتمُّ تجنُّبه، وأخذ الحيطة، والحذر قبل أن تولد الفتنة، ويحدث الصِّدام والاقتتال بأنفاس ممتلئة أنانيّة؟

---

[29] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، الزعيم للخدمات المكتبية، القاهرة، 2013، ص 53 – 54.

ولأنَّ للخلاف دوائر في التَّاريخ، فدوائر التَّاريخ تتداخل دون انفصال دائرة عن أخرى، فدائرة التَّاريخ وجودًا هي: النقطةُ المحاطةُ بالفراغِ الميسِّر للحركة والسُّكون إلى النِّهاية؛ حيث تقف عاجزة عن النمو، والامتداد، والاتساع، والبقاء؛ ولذا فمع أنَّ الدَّائرة في ذاتها نقطة، فإنَّها نقطة البداية لرسم دوائر وتكوينها؛ إذ لا يمكن لدائرة أن تصبح دائرةً إلَّا بمجموع دوائر النُّقط التي بدأت منها وانتهت إليها، وهكذا بالتمام ما تنتهي إليه المستقيمات.

ومن ثمَّ فالدّائرةُ: إحاطة الشيء بالشيء علمًا، ومعرفةً، ودرايةً، وعملًا، سواء أكان المحاط: مشاهدًا، أم مجرَّدًا: (حسنات، أم سيئات).

وإضافة إلى ذلك فالدائرة لا تكون إلَّا بإحاطتين رئيستين:

الأولى: إحاطة الشيء باللاشيء: كما يحوط الفراغ الكوني الكواكب، والنجوم، والشُّهب، وكما نحن نحاط بالفراغ، الذي لولاه ما كانت لنا الحركة، والامتداد.

والثَّانية: إحاطة الشيء بالشيء: كما نحن نحاط في بيوتنا بجدران من المباني سلامةً، وأمنًا، وكما نحن نحوط أبناءنا عناية، ورعاية.

ولمتسائل أن يتساءل:

إذا كُنَّا محاطون بالجدران المحاطة بالفراغ (اللاشيء)، والمملوءة به على التمام، ألا تكون رؤوسنا المحاطة بالفراغ محيطة لأفكارنا، والتي هي الأخرى محاطة بعقولنا التي تدخلها الأنانية مرّة من بعد مرّة، والفتنة بأنانيّة النفس تُقدح وتشتعل نارًا؟

أقول: نعم، دائرة الفراغ تحوطنا سلامةً، ومرونةً، وهامشًا للحركة والامتداد، ورؤوسنا تحوط عقولنا التي هي الأخرى تحوط أفكارنا؛ أي: لو لم تكن دائرة رؤوسنا ما كانت دائرة عقولنا، ولو لم تكن دائرة عقولنا ما كانت دائرة أفكارنا التي بين قدح نار فتنة وبين إطفائها بغاية الإصلاح وبلوغ الحلّ رحمة بين النَّاس.

ولأنَّه لا مطلق إلَّا بيد الله، إذن: فلا مطلق بأيدينا، ومن هنا نحن في دائرة المحدوديَّة: (النِّسبيَّة)، أي: كل ما نقدِم عليه من فعلٍ، أو عملٍ، أو علمٍ لا يمكن أن يخرج عن دائرة النسبيَّة، ولهذا لا يمكن أن يخرج تاريخنا عن دوائر النسبيَّة: سياسةً، واقتصادًا، وعلمًا، وخبرة، وتجربة، وعادةً، وعرفًا.

ولأنَّ كل شيء يوجد لا يخرج عن دائرة الوجود حياة، أو موتًا، أو عدمًا، أو بعثًا، إذن: فلا شيء يكون أو يوجد إلَّا تاريخًا؛ ولذا فلكل دائرة من دوائر التَّاريخ بداية، ونهاية، ولا بقاء لأيِّ دائرة من دوائر التَّاريخ إلَّا البقاء الدَّائم؛ حيث الحياة الحيوان: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}[30].

وبما إنَّ الدَّائرة إحاطةٌ، إذن: فدوائر التَّاريخ كلّها إحاطات معرفيَّة، فنحن لو لم يحطنا الله بعلمه ما عَلِمنا بما أُعلمنا به، ولهذا فالإحاطات التَّاريخيَّة كلُّها متداخلة الدَّوائر: (خَلقًا، ونشوءًا، وارتقاءًا)؛ إذ لو لم يكن الخلق مستحيلًا، ما كان النشوء معجزًا، ولو لم يكن النشوء معجزًا، ما كان الارتقاء ممكنًا.

---

[30] العنكبوت: 64.

وعليه: فما يُحاط به العقل البشري لن يكون إلَّا من خارجه، ومن ثمَّ لن يكون داخله أبدًا، ومن هنا فعندما يحاط العقل بالمعلومة يستشعرها، ثمَّ يتحسّسها، ثمَّ يتدبَّرُ أهميَّتها وعيًا فتتجسَّد في قولهِ، وفعلهِ، وسلوكهِ، وعملهِ، ما يدفعه إلى الإنتاج العلمي، وبلوغ الخوارق، وتحدي الصِّعاب، وإضافة الجديد، وإحداث النُّقلة، ثمَّ صناعة التَّاريخ، وفي المقابل سيكون للأنانيّة حيّزًا تملأه فتنة.

فنحن بنو آدم أبلغنا الله بما لا نعلم من خلال أنبيائه ورسله عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، ومن ثمَّ أُحيطت عقولنا بما لم تَحُطْهُ، أي: أصبحت عقولنا محاطة بما عَلِمَتْ، (إنَّها محاطة به، وليست محيطة له)، ولهذا دائمًا المحيط أعظم من المحاط، وهكذا هي الدوائر تاريخًا، ومع كل الحوط فإنَّ الصدام والخصام والخلاف في دوائر الفتنة خيوطه من الأنانيّة تنسج.

ومع أنَّه لا وجود لدائرة على أرض الواقع إلَّا بامتداد نقطة البداية نقاطًا متراصّة حتى تلامس آخر نقطة ظهر تلك النقطة الأولى التي انطلقت النقاط من بعدها امتدادًا، وهي في امتدادها هذا كمن يمدّ أصبعه وهو يسير على الكرة الأرضيّة إلى الأمام، حتى يلامس خلفيَّة رأسه، ومع ذلك فإنَّ دوائر التاريخ ليست دائمًا هكذا، بل كثير من دوائر التَّاريخ وهميَّة، كما هو حال دائرة السّوء: سواء أكانت دائرة سوء الفهم، أم دائرة سوء الظَّن، أم دائرة سوء النيَّة، أم دائرة سوء السُّمعة، أو العمل، أو الفعل، أو السُّلوك، أو

دوائر الأنانيّة المميتة (كلّها دوائر وهميَّة)؛ قال تعالى: {وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}[31].

وعليه: فإنَّ دوائر التَّاريخ بداية تُفتح وجودًا، ونهاية تقفل عدمًا، وعندما تقفل على (ما) تقفل عليه، أو على (من) تقفل عليه فلا مفَّر منها، مما يجعل الأفعال باقية، وفاعلوها منتهون؛ ولذا فلا خلاف على دوائر التَّاريخ، بل الخلاف فيها.

الأنا وهمًا في دائرة الفكر:

مع أنَّ الفكر مجموع الفكرة فإنَّ الفكرة ساكنة بين سلبيّة وإيجابيّة، وبين أنانيّة وموضوعيّة؛ ولذا فالفِكْرُ صوغٌ عامٌ للأفكار والرّؤى وفقًا لما يستنتجه الصّائغ ويفسّره قبل أن يقدّمه للغير؛ ليكون بين أيديهم نظريَّة متكاملة تفيد معالجة ما وقعت فيه المجتمعات من أزمات سياسيَّة، واقتصاديَّة، واجتماعيَّة، وقد يكون الأمر متعلّقًا بشأنٍ علمي، فتكون النظريَّة المتحصّلة خير ما يفسّر المشكل، ويقدّم له حلًّا، وفي المقابل قد تكون من بين الفِكْرُ فكرة تفسد فتنة ولا تصلح.

ولهذا عندما تكون الفِكَر: (مجموع الفكرة) إنتاج العقل، يكون الفِكْر هو إعمال العقل، وصوغه، وتفسيره، والفِكْر هو نتاج تلاقح الأفكار، وصوغها في بوتقة النظريَّات الاجتماعيَّة، والإنسانيَّة، والطبيعيَّة.

[31] التوبة: 98.

ومن ثمّ فالفِكْر هو عمل العقل في توظيف الفِكَر: (مجموع الفكرة) بغاية تفسير الحقائق والنظريَّات سواء أكانت في مجال العلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، أم كانت في مجال العوم الطبيعيَّة.

والفِكْر هو الصّوغ العام لما وصل إليه العقل البشري من نتائج وتجارب، مع تطلّع ذهني لما يمكن أن يكون مأمولًا للأفراد، والجماعات، والمجتمعات، وتصوّر عملي يظهر القابليَّة للتطبيق وفقًا للنتائج المراد تحقيقها، وهو التنظير المرسّخ لسابق، أو المطوّر له، أو المتضادّ معه، أو المتجاوز لما سبق بحلول جديدة ميسّرة، وهو أوسع من الفكرة، حتى وإن كانت الفكرة من ورائه حيرة.

فالفِكَر (مجموع الفكرة) تلد الحلول، والفِكْر (التمركز العقلي) يتلقّفها، ويوظّفها، ثمّ يظهرها في صوغٍ مفسّر للظواهر، والعلاقة واضحة بين الفِكَر والفِكْر الذي اتخذ صفته من الفكر ذاته؛ كونه لا يكون إلّا منه، ولهذا كان التطابق بين الاسم والصّفة، فالاسم فِكْر كونه ذو ذاكرة وذهن، وله ملكات التمييز والتفاعل التي من دونها لا تنتج الفكرة، ولا تصاغ الأفكار؛ وكونه صفة لأنَّ الأمر يتعلّق بما صاغه الفِكْر من أفكار، ونظريَّات، ومعارف تعكس واقع الفِكْر من حيث: المقدرة على العمل المنتج، وهذا يدلُّ على العلاقة المباشرة بتلك المحفظة (الذّاكرة)؛ وبذلك الذّهن العقلي الذي لا تكون المعارف إلّا به، وهنا تطابقت الصّفة مع الموصوف: (الفكْر الذي هو

من الملكات العقليَّة مع الفكْر الذي هو ما يستخلصه العقل من حلول، ومعالجات للمعضل البشري)[32].

أمَّا الفِكرة، فهي: مكمن الحُجّة، والتصوّر العقلي، وهي: تمتدّ من الذّهن إلى ميادين العمل فَتُفعل، وهي في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع بين إبداع، واستقراء، وتطوّر، ويترتّب عليها تقبُّل، أو رفض، وبها تتحسّن الأحوال، أو تسوء: (إصلاحًا، أو إفسادًا).

ويتطوّر فكر الإنسان بتوليد فكرة من فكرة، من المجرّد المدرك إلى الملاحظ المتهيئ إلى المشاهد، أو من المشاهد إلى الملاحظ، ثمَّ إلى المدرك، وهكذا تولَّد الفكرة من الملاحظ بما يجعلها في حالة من المشاهدة والتجرّد.

وفي الواقع إنَّ الأفكار نشاطات ذهنيَّة يقوم بها الإنسان؛ كونها خاضعة لإرادته إلى حدٍّ بعيد فهو في دائرة الممكن يُبدع الفكرة، بل يمكنه أيضًا أن يضع تصوُّرًا محدّدًا للصّورة التي ينبغي أن يكون عليها التنفيذ، وهو قبل كلّ هذا وذاك بإمكانه أن يخالف، أو يختار من بين عدّة أفكار ما يريد، وأن يرفض ما لا يريد؛ وبهذا ترتبط الأفكار بالإرادة على الرغم من أنَّ وجود الإنسان المريد لم يكن بإرادته.

وبناء على ذلك: هل نملك دائمًا حشد أذهاننا بشتّى أنواع الفكر؟ وهل نملك أبدًا حريَّة التنفيذ، وحريَّة اتخاذ قرارات بشأنها؟ وهل نملك أن

---

[32] عقيل حسين عقيل، من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017، ص 11 – 19.

نقف بمسارات تفكيرنا عند حدٍّ معين إذا ما تبدت لنا أفكار متسلّطة تسيطر على الذّهن، دون أن نستطيع محوها بإرادتنا؟

أقول:

إنَّ كلّ ذلك ممكن، ممّا يجعل الإنسان نفسه في حالة التخيير عندما تكون الإرادة في دائرة الممكن، ويجد نفسه في حالة التسيير عندما لا تكون الإرادة، والقدرة في دائرة الممكن؛ ولذا في هذا العصر تزداد السّرعة في توليد الفكرة، وأكثر سرعة تظهر في التطوّر، والتنوّع المصاحب لها، فمن المعلومة تتولّد معلومات، ومن المهارة تتولّد مهارات، ومن الفكرة تتولّد أفكار، وهكذا من الخبرة تتولّد الخبرة، كما يتولّد الدّخل من الإنتاج في أسواق المنافسة الحرّة، فاليابان على سبيل المثال: لا تهتم كثيرًا بإنتاج الفكرة بقدر ما تهتم بتحسينها؛ وذلك لأنَّ مطالب السّوق كثيرة ومتنوّعة، وإنتاج الفكرة يحتاج إلى زمن أطول، أمَّا تحسين الفكرة فزمنه أقصر إذا ما قورن بزمن إنتاجها، وهكذا الحال في كوريا الجنوبيَّة التي تَعُد نفسها في حالة تنافس مع العقل الياباني في تحسين الفكرة، وتطويرها.

ولهذا فالفكرة نُضج تدبّري تحمل في أحشائها حلًّا، والخوف دائمًا يبحث عن حلٍّ، فالخوف يثير العقل تفكّرًا وتذكرًا، وتدبّرًا، حتى يقتنص الفكرة التي فيها يكمن الحلّ؛ ولذا لن يكون الخلاف أمنًا إلّا في الفكرة المقتنصة حلًّا، أمّا عندما يكون العقل بين هذا وذاك في حيرة الفتنة فلا شكّ في أن تكون الأنانيّة متصدرة المشهد.

ومن هنا فالفكرة تحملها الكلمة بين مرسلٍ ومستقبلٍ، وهي تحمل قضيَّة تُقدِّم حلًّا يُخرِج من التأزّمات، أو يُدخل فيها، فكثير من الأسوياء والعلماء، والمفكِّرين العظام يَجدّون في إنتاج الفكرة التي تحمل حلًّا يُخرِج من التأزُّمات، والبعض الآخر يكيد، أو يمكر، أو يخالف، ويفتن، ويحسد ظلمًا وأنانيَّة، فيُسخِّرون فكرهم وما يمتلكون أحيانًا من أجل إشعال نار فتنة يعدونها حلًّا.

ولنقف قليلًا على ما جرى في الصومال من تدخل أجنبي كان مؤسّسًا على فكرة تحمل حلًّا لأزمة من وجهة نظر المتدخّلين الأجانب، ثمّ بعد أنْ لاقوا المقاومة الشديدة من أبناء الصومال، جاءت فكرة الانسحاب ونُفِّذت؛ كونها تَحِلَّ حلًّا مؤسّسًا على فكرةٍ كلّما اشتدّت التأزّمات فُرجت؛ فاشتدّت التأزمات، ولكنَّها لم تُفرج بعد بأسباب الفكرة المتجدِّدة التي ترى في اشتداد التأزُّمات حلًّا.

وفي دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع الفكرة تتعرّض لمواجهة الفكرة؛ ممّا يجعل نيران الاقتتال والفتنة كلّما انطفأت اشتعلت من جديد، وعلى وجه السُّرعة، فالوطن عندما لا يكون الرأي فيه مؤسّسًا على فكرة حلّ التأزّمات لا يمكن أن يأمن مواطنوه، وإن لم يشتدّ الخوف في نفوسهم على مستقبل أبنائهم ووطنهم وحرّيّتهم، فلن يبلغوا حلًّا يجمع شتات أبناء الأمَّة إرادة في ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمْل المسؤوليَّات الوطنيَّة، سياسةً، واقتصادًا، واجتماعًا.

وكذلك فما جرى في العراق كان مجرَّد فكرة تحمل حلًّا من وجهة نظر الآخر مع مشاركة بعض من أبناء الوطن، نُفِّذت الفكرة التي ترى أنَّ القضاء على الرَّئيس السَّابق صدام حسين، وحزب البعث هي الحلُّ، ولكن مع أنَّ حكم الإعدام نُفِّذ في الرَّئيس صدام حسين بعد احتلال البلد، وحُرِم حزب البعث من المشاركة في السُّلطة، فإنَّ التأزُّمات ازدادت شدّة على المواطنين، فالذين لم يكونوا آمنين في عصر صدام لا يزالون غير آمنين، ثمّ أزداد عليهم عدد من غيرهم من الذين كانوا آمنين في عهده، فأصبح الجميع غير آمنٍ، حتى كتابة هذا المؤلف، ومع أنَّنا نأمل أن يأمن شعب العراق وترابه، فإنَّنا نرى معطيات التأزُّم تظهر بين الحين والحين، من خلال ما نراه من خلاف مع تدخلات إيرانيَّة، وصراعات طائفيّة سُنَّة وشيعة، عربًا وأكرادًا، وديانات متعدِّدة من عبدة الله إلى عبدة الشيطان، وأخرى كثيرة منها ما يُختشى من ذكره، وثروة مبعثرة في غير أوجه الرِّعاية الاجتماعيَّة، وهذا بالتمام كان نتاج استنساخ الفكرة المنفَّذة في الصومال، انسحاب أمريكي أعقبته صدامات واقتتالات بين تلك التركيبة المبعثرة، ومع أنَّ الوطنَ واحد فإنَّ الشَّعب وكأنَّه لم يكن واحد، ومن هنا سيكون الخوف على الوطن ضرورة.

بكلِّ أسف فالأمر في الوطن العربي مُعسَّر لا ميسَّر؛ ذلك لأنَّ المواجهة هي سيدة الميدان بين الفكرة والتأزُّمات؛ فالفكرة كلّ يوم تولِّد فكرة وفي مقابل التأزُّم كلّ يوم يولِّد تأزُّمات والأنانيّة هي سيدة الميدان.

وإذا نظرنا إلى خريطة الفكرة في أقطار الوطن العربي، نلاحظ مكامن وأماكن التأزُّمات على وجوه مواطنيه، وعلى تضاريسه، وجباله، وسهوله، ووديانه، وشواطئه، وأنهاره المغرية للآخر الذي كان ينظر إلى أهميَّة وضرورة

انفصال أقاليم جنوب السُّودان عن أقاليمه الشماليَّة، حتى تحقّق ذلك على يديه، وعلى حساب وحدة السودان، وكرامة العرب ووحدتهم، وبالنسبة للغرب إن لم تنتهِ خلافات السودانيين فثمار الخلاف وفقًا للفكرة لا بدّ أن تؤدِّي أيضًا إلى انفصال إقليم دارفور، ولكن بعد الثورة ضابطة الإيقاع (ثورة الشعب والجيش) على نظام البشير، فالأمر ينبغي أن يتحسَّن، وبخاصَّة إذا تشكلت حكومة وطنيَّة رائدة.

ومع أنَّ فكرة تقسيم الوطن العربي مجسّدة على خطة أجنبيَّة فإنَّ الأمر قد لا يتحقق إذا ما بلغت عقول العرب الصحوة والنهضة، ولكن إن لم تبلغ الشعوب الصحوة فسبق لنا أن قلنا في مؤلّفنا: الخوف وآفاق المستقبل: (إنَّ ما يجري في اليمن السعيد لا هدف من ورائه إلّا إبعاد السعادة عن أهله؛ ليكون يمنًا بِلا سعادة؛ ولذا يا ليت أهله يفيقون؛ لكي تبقى السَّعادة مِسك ترابه وعطره الفوَّاح، ولكن لن تكون السعادة فيه ما لم يتم الاستيعاب بين الأنا الآخر، ويجلسان سويًّا بتنوّعاتهم الفكريَّة، والثقافيَّة، دون أن يغيَّب أو يقصي أحد أحدًا.

وما يجري في اليمن اليوم هو بحقّ تجسيد لفكرة (فرق تسد)، وكما نعتقد لن تكون حدودها تراب اليمن، بل متمِّمات الفكرة على أرض الواقع هي دول الخليج، وعلى وجه الخصوص المملكة العربيَّة السعودية؛ وذلك لِما تمتلكه من إمكانات وخيرات كثيرة، وما فيها من أماكن مقدّسة، ومقامات عِظام، وما فيها من ثروات[33].

[33] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، ص 281، 2011.

ومع أنَّ البعض يرى في استخدام القوَّة حلًّا، فإنَّنا لا نرى حلًّا إلَّا في الجلوس على طاولات التفاهم، والتفهُّم، فاليمن وطن لجميع اليمنيين، وليبيا وطن لجميع الليبيين، وسوريا وطن لجميع السوريين، وهكذا كل وطن من أوطان العرب هو ملك لمواطنيه جميعًا، وهذه قاعدة، أمَّا الاستثناء: أنْ يحتكر البعض السُّلطة، أو الثروة،؛ ولذا فإن حدث ذلك تحت أيِّ مبررٍ فتستمد العداءات والفتن والاقتتالات حيويَّتها منه حتى تنتصر الأنانيّة فتنة على حساب الموضوعيّة حلًّا.

ولهذا لا أفضليَّة ليمني على يمني في بلاد اليمنيين، ولا أفضليَّة لليبي على ليبي في بلاد الليبيين، ولا أفضليَّة لعراقي على عراقي في بلاد العراقيين، وهكذا في كلِّ الأوطان لا أفضلية لمواطنٍ على مواطنٍ، ومن هنا يكتسب المواطن حقه في المواطنة، ولكن إن حُرِم مَنْ حُرم من حقِّ المساواة الوطنيَّة فلا بدَّ أن يصبح غاضبًا: (غير راضٍ)، ومن ثمَّ فلن يكون سويًّا مما يجعله يميل إلى ما يُفسد، ولا يجنح إلى ما يبني ويعمِّر، ولهذا يُقبض عليه، وتُلصق به التهم، وتُلفَّق له المؤامرات، ما يجعل مصيره في دائرة الممكن بين السّجن والإعدام.

كلُّ هذه الأعمال والأفعال ليست بغريبة على شعوب العالم الموصوف بالثَّالث.

والسؤال هنا: من يا ترى سيكون المدان تاريخًا: المحروم، أم الحارم؟

أقول: الظَّالم ومن يكون.

ولتبيان ذلك أقول: نعم. إنَّ الوطنَ واحد، أمَّا الشَّعب بما هو عليه من فروق فرديَّة، وجماعيَّة، واجتماعيَّة فليس بواحدٍ، ولهذا لا يمكن أن يكون أبناء الشَّعب مثل ورق السَّحب، وكأنَّهم نسخة واحدة بعضهم من بعضٍ، وهذه مشيئة الله في خلقه: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[34].

وعليه:

فأين مكامن الخوف على الوطن؟ أي: من هو الأحرص عليه من غيره بما أنَّه وطن الجميع؟

أقول:

لا داعي للتفضيلات التي من خلالها يدَّعي البعض بأنَّه أحرص على الوطن من غيره: (من بني الوطن)؛ وذلك بعلل منها: أنَّه الحزب الحاكم، أو القبيلة الحاكمة، أو الأسرة الحاكمة، أو أيِّ عذرٍ من الأعذار التي لا سرَّ من ورائها إلَّا احتكار السُّلطة، ولهذا فمن يرى نفسه قمَّة الوطن، وغيره لا يمكن أن يكون قمَّة فيه، فهو بطبيعة الحال سيكون أكثر من يدفع ثمن المواجهة مع الكل، الذين لم يرهم على علاقة بالوطنيَّة مطلقًا؛ فعلى سبيل المثال: لا يمكن أن يكون المسلمين في مصر أكثر وطنيَّة من المسيحيين، وفي المقابل لا يمكن أن يكون المسيحيين أكثر وطنيَّة من المسلمين فيها، وكذلك في ليبيا لا يمكن أن يدَّعي الأمازيغ الوطنية أكثر من العرب، أو الطوارق،

[34] هود: 118، 119.

أو التبو الليبيين، ومن يدَّعي منهم ذلك فقد عمل على إيقاد نار الفتنة بين بني الوطن، وجعل بينهم خلافًا وأنانيَّة.

ومن هنا تقول القاعدة المنطقيَّة:

الوطن مثل الماء للظَّامئين، والطَّعام للجائعين، والمظلَّة التي تحول بين حرارة الشَّمس ورؤوس المشمَّسين: (المتساوون في حالة العطش، والجوع، والحر)، ومن هنا فلا يليق أن يُفضَّل أحدٌ على أحدٍ أمام الله إلَّا من كان على الفضل من عند الله، ومن ثمَّ ينبغي أن يكون الماء، والغذاء، والظلَّ بينهم قِسمة، فإنْ كان قِسمة كانت الحياة آمنة بين الجميع؛ إذ لا أنانيَّة، وإنْ كانت حِرمانًا فلا إمكانيَّة للآمن؛ حيث الفتنة والأنانيّة، ومن هنا تصبح المواجهة ضرورة، وليست رغبة، أي: لو كانت القسمة عادلة ما كان للضرورة من مبرِّرٍ، ولكن عندما تكون القسمة غير عادلة: (الحرمان من ممارسة الحقوق) تحدث المواجهة، والاقتتال، ومن ثمَّ تحدث المغالبة بالقوَّة القاهرة، التي تجبر بعض الأفراد أو الجماعات بقبول العبوديَّة مع أنَّ الله قد حرَّمها، وأمر بالعتق من قيودها، وأطواقها التي تختنق الرّقاب بها.

ولذا فالعالم المتقدِّم يرسم سياساته وفقًا للمستقبل المتوقَّع، ويخطط لبلوغه، ونيل مكاسبه، أو تفادي مآسيه، ولو كانت على حساب الغير، ومع أنَّه لا مخيف من بلوغه ونيل مكاسبه، فإنَّ الخطر سيكون مخيفًا على من لا يخططون لمستقبلهم: (الذين سيكونون الضحيَّة).

ولأنَّ دول العالم معرَّضة للأزمة الماليَّة، والاقتصاديّة، والمائيَّة، والغذائيَّة الآتية على التوالي، ولا مفر منها، إذن: لا بدَّ من إيجاد حلٍّ قبل أن تتفاقم

التأزُّمات، ولأنَّ الهدف إيجاد حلّ فكلّ سيشارك، ومع ذلك سيجد بعضهم أنَّه الضحيَّة، وعليه أن يقبل، لأنَّه ضحيَّة من أجلّ الآخرين: (أصحاب الفكرة).

ولسائل من دول خليجنا أن يتساءل:

ما الحلُّ البديل؟

أقول:

الحلّ لا فتنة.

فإن وُجدت الفتنة، وتمَّ القبول بها وكأنَّها الحلّ، سيكون الجميع دافعين للثَّمن.

ولسائل آخر أن يتساءل:

وأين يكمن الحلّ؟

أقول:

الحلُّ ما سبق قوله في مؤلَّفنا: (الخوف وآفاق المستقبل) "يكمن في اليمن السعيد، فعليكم يا أبناء الخليج، ورجالاته المحترمين باجتثاث الفتنة من اليمن؛ لأنَّكم أنتم المستهدفون أوَّلًا، وما اليمن إلّا نقطة البداية، فأصحاب الفكرة جعلوا اليمن البيئة والتربة الصّالحة لزراعة ما يشتهي أصحاب الفكرة خارج حدودهم الوطنيَّة، وما يزرعونه أصحاب الفكرة في اليمن هو: (فرّق تسد) هذه الفكرة يراد لها أن تنتشر في دول الخليج، والتي ستزداد نشاطًا عندما تلتقي بتلك المتمّمات الفكريَّة التي تمّ بذرها في بلاد

العراق"[35]. وباستثناء أصحاب القضايا سيجد بعض المجنَّدين أنفسهم: (من الشَّعب والحكومة) أنَّهم بذرة من تلك البذور المنثورة؛ لتكون طُعمًا في أفواه الغافلين، والغافلون هم الذين يعطون أصحاب الفكرة مبرِّرًا للتدخل الذي به يتمّ احتلال تراب الوطن، أو احتلال جزء منه، فالغزاة الذين يملؤهم الخوف من الأزمة الماليَّة والاقتصاديّة والمائيَّة والغذائيَّة لن يتأخروا يومًا عن مواعيد تنفيذ فكرتهم، بل يمكن أن يستقدموا موعدهم الذي ضمَّنوه في الفكرة.

فالصُّومال بدون شكّ كانت دولة ذات سيادة آمنة الحدود، واليوم الصومال ليست آمنة الحدود، ولا هي آمنة ما بينها، وإنْ أراد أهلها والعرب للصومال أمنًا فعليهم بقبول المتناقضات من أجل صوغ فكرة تستوعب الجميع، وتقبلهم دون أن تستثني أحدًا من المشاركة في إدارة شؤون البلاد، وتحفِّزهم على العمل، وتدفعهم إليه دفعًا، دون أن يغفلوا عن صوت المرأة والمعاق؛ ذلك لأنَّه إذا شبَّ الخلاف، وشبّت نيران الفتنة في ركن من أركان الوطن العربي، فلا تقف عند حدٍّ منه.

فاليمن اليوم لم يعد ذلك اليمن الذي كان فيه سد مأرب العظيم هندسة وتاريخًا، ومملكة سبأ وحضرموت حضارة ورفعة، إنَّه اليوم على اعتاب التقسيم؛ لأنَّ الخلاف فيه لا زال وفقًا لتلك الفكرة الخصم التي ترى العرب عبر التَّاريخ لا يستسلمون مع أنَّهم يُهزمون وينكسرون في مرَّاتٍ من التأزُّمات حالكة الظُّلمة.

---

[35] المرجع السابق، 281- 282

وعليه:

لِمَ لا يُعيد العرب التفكير في شؤونهم أكثر من مرّة حتى يبصروا سُبل النجاة من تلك الفكرة التي لا تراهم إلَّا رعاة؟ لِمَ لا يروِّضون أنفسهم بتحدِّي الخلاف الذي قسَّمهم بين شرق وغرب: (تُبّع ليس إلَّا)؟ لِمَ لا ينفقون أموالهم على رفعة الحياة السياسيَّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيَّة، والعلميَّة، ويتحوَّلون إلى الإنتاج بدلًا من حياة الاستهلاك؟ لِمَ يدفعون أموالهم في شراء الأسلحة التي لا تكسَّر إلَّا بأيديهم على رؤوسهم؟ لِمَ لا يستثمرون ثرواتهم علمًا: (تخطيطًا استراتيجيًّا)؟ لِمَ لا يفكرون فيما يفكِّرون فيه قبل أن يقدموا عليه؟ لِمَ لا يميّزون بين ما يجب، وما لا يجب؟ لم لا يميّزون بين الخلاف مع الأهل، والخلاف مع الأعداء؟ لِمَ لا يتَّقون الله في أنفسهم وأهليهم؟ لم لا يقضون على الأنانيّة والفتنة التي منبتها أنفسهم وليست من الخارج؟

إنَّ دول الخليج كغيرها من دول العالم، فيها من التطرُّف والتعصّب ما فيها، وفيها من التعدّد المذهبي والخلاف بين الأقارب والأباعد ما فيها أي: فيها ما يكفي لبث كلّ ما من شأنه أن يُحدث تأزُّمًا، ولهذا فإنَّ معطيات اشتعال نيران الفتنة متوافرة إنْ لم يتمّ استيعاب كلّ متغيّر من المتغيرات الاجتماعيَّة، والدينيَّة، والسياسيَّة، والفكريَّة، والثقافيَّة، والنفسيَّة، وصهرها في بوتقة الفكر الذي يسمح بأن يكون لكلٍّ حقوقه، وعلى كلٍّ واجباته، ولكلٍّ مسؤوليَّاته، وفقًا للصلاحيَّات والاختصاصات المقدّرة قانونًا، أو دستورًا، أو عرفًا ودينًا.

وهكذا في بلدان الشَّام قيادات وأحزاب تحت مظلّة الثقافة والدين والطائفيَّة، والتي مهما حاولت أنْ تكون حذرة فلن ينفعها الحذر مع قدرة صاحب الفكرة الذي يتلاعب كلّما شاء ببعض عناوينها، وبخاصَّة أنَّ دول الشَّام دول حدوديَّة مع دولة إسرائيل: (الشوكة) التي وَخزت تراب الوطن الكبير، ومع أنَّ الشوكة مؤلمة، فإنَّه لا يحسّ بآلامها إلَّا من وخزته؛ ولذا فالذين لم تكن موخوزة في ظهورهم لن يحسّوا بما تتركه من ألم، ولهذا فهم لا يبالون بصريخ تلك النّسوة، وأولئك الأطفال الذين يصرخون من شدّة آلامها، فالذين هُتكت أعراضهم في فلسطين وإنْ اتفق السَّاسة؛ فكيف لا يثأرون؟ والذين هُدّمت مساكنهم، ومدارسهم، ومساجدهم على رؤوس أهليهم فكيف لا يثأرون؟ والذين طُرِدوا من مزارعهم، ومصانعهم، وقتِّل من قُتل من أهلهم فكيف لا يثأرون؟

أقول:

لا يمكن أن يطمئن أبناء الوطن ويأمنون ويزول الخوف من أنفسهم ما لم تُزَلْ الشوكة التي تضايقهم في ظهورهم ألما بحلٍّ مرضٍ لقيام الدولتين؛ ولذا فالفكرة التي تقول: يجب أن يعيش الإسرائيليون والفلسطينيون إخوة متحابّين في دولتين مستقلتين ذات حدود سياديَّة آمنة ليست معيبة، بل إنَّها ضرورة لأمن المنطقة كاملة، وإن لم يتم ذلك إرادة ستكون الحياة فيها ليست آمنة، ولا مستقرة، ما يجعل الأمر دائمًا وكأنَّه بين صيادٍ وطريدة.

وعليه:

أين صفقة القرن؟

الصّفقة لغة هي: نتاج بيع وشراء، أو تبادل سلعة بسلعة.

أمَّا اصطلاحًا فهي: تسليم بعض المعقود عليه أملًا دون تسليم بعضه الآخر.

ولذا علينا أن نميَّز بين قبول حلّ الدَّولتين، وقبول صفقة القرن؛ فقبول حلّ الدَّولتين يتطلَّب اعتراف الطَّرفين: (الفلسطيني والإسرائيلي) بأهميَّة بعضهما وجودًا إنسانيًّا، وفقًا لحقوق تمارس، مع قبول التمييز المقدّر لكلّ خصوصيَّة تتعلّق بالطَّرفين.

أمَّا قبول الصَّفقة فيعني ضمنيًّا قبول أحد الأطراف بالمنقوص؛ وذلك وفقًا للتعريف الاصطلاحي لمفهوم: (الصَّفقة) الذي يحتوي على تسليم بعضٍ من المعقود عليه، ولا يحتوي على تسليمه كاملًا.

ولأنَّ صاحب الصّفقة غير محايد: (الرئيس الأمريكي دونالد ترامب)، إذن: ومن دون شكّ سيكون النصيب المنقوص نصيب الفلسطينيين، ولكن بعد سقوط الرئيس ترامب من سدة الحكم فالأمر سيعود للحوار والتفاوض بغاية إخماد نيران الفتنة وإقصاء الأنانيّة المميتة.

ولهذا إذا قبل الفلسطينيون بعنوان صفقة القرن، فلا داعي للاعتراض على المنقوص، أي: بما أنَّهم قبلوا بها فهم ضمنيًّا قبلوا الصفقة منقوصة.

وهنا أقول: في إدارة السياسة علمًا، يجب التبيُّن دلالة ومفهومًا قبل الإقدام على الفعل.

ولأنَّ حلّ المشكل الفلسطيني الإسرائيلي يتعلّق بالوجود، والسيادة الوطنيَّة، والهويَّة الفلسطينيَّة فلا يليق بحل المشكل صفقةً: (كَسبَ من كَسبَ، وخسر من خسر)، وكأن القضيَّة لا تزيد عن كونها سلعة.

وعليه: لا أعتقد أنَّ الأمر هكذا هينٌ، بل أراه شديد التعقيد، وحتى إذا افترضنا قبول بعض الفلسطينيين بالصَّفقة، ألا يكفي أنَّها ستكون مرفوضةً من قبل البعض الآخر؟ وفي ذات الوقت يمكن أن ترفض من قِبل جميع الفلسطينيين، وهنا سيزداد التأزُّم تأزُّمًا، مع العلم أنَّ معظم دول العالم قد لا تأخذ بالصَّفقة، مما يجعل العودة إلى الخلاف، والتخندق والتمترس والاقتتال، وبخاصَّة أنَّ القوَّة الصاروخيَّة في المنطقة في حالة ازدياد مع تطوّر معلوماتي وتقني، إلى جانب النمو الديني لدى الشباب، ليس في منظّمة حماس فقط كما يظن البعض، بل في جميع أرجاء الوطن العربي، والعالم الإسلامي، فالمشكلة مملوءة خوفًا؛ ولذلك فلن تحلّ إلّا بسلام إرادي؛ ولذا فتعنُّت حكام إسرائيل لا يؤدِّي إلّا إلى التطرُّف، والرفض، حتى وإن رضيت بعض الحكومات بالصَّفقة واعترف بدولة إسرائيل وأقامت علاقات معها.

ومن هنا فالحدود بين جنوب الدَّولة اللبنانيَّة مع دولة إسرائيل المرابط حزب الله عليها ستكون الدِّماء فيها غالية الثَّمن، فحزب الله المستهدف بالفكرة المصاغة في الغرب، ومقدمات رؤوسها تظهر بين الحين والحين، لا يستهان بأثرها إن لم يتمّ تفادي الأمر بفكرة قيام الدولتين بدلًا من تسويق الصفقة على حساب الفلسطينيين ولاعتراف بقيام دولتهم المستقلة.

ولأنَّ العرب وإن اختلفوا، أو تخالفوا هم كثرةٌ سكانيَّةٌ في المنطقةِ، فلا إمكانيَّة للغة المغالبة كرهًا، وممن تكون.

وستظل مصر الصَّخرة الضَّخمة التي ستتحطَّم عليها كل الألاعيب التي تدار ضد العرب، والفكرة الاجنبيَّة لا تواجهها صعوبة إلّا في مصر، فالمصريون بطبعهم أهل حضارة وثقافة، يفهمون التّاريخ جيدًا كما يفهمون السياسة، فالمصريون قد يسايرونك أدبًا واحترامًا مع وافر اللين، ولكنَّهم لا يقادون خوفًا، ولا طمعًا.

ومع أنَّ الدين متغيّر رئيس في تغيير الأحوال من سالبة إلى موجبة، فإنَّ الذين يعتقدون فيه تطرُّفًا، وتعصّبًا، وإقصاءً للآخرين واهمون؛ ذلك لأنَّ الدين لا فوقيَّة فيه، ولا تغييب، ولا إقصاء؛ إذ لا إكراه في الدين، والأمر بين النَّاس شورى، والمجادلة بالتي هي أحسن، ولهذا فالدين استنارة في الأنفس والقلوب والعقول، يرشد للإصلاح، ومقاومة الفساد، وكفّ سفك الدِّماء بغير حقّ، دون تمييز بين النَّاس في ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمْل المسؤوليَّات.

ولذا كما قرَّرَ أصحاب الفكرة في دائرة الممكن المتوقَّع في هذا القرن الواحد والعشرين أن يغزوا أرض الصومال، قرّر الصوماليون حبّ الموت حتى حرّروا أراضيهم، وهذه عِبر التَّاريخ، وهي من طبائع العرب، وهكذا ستكون القرارات في بقيَّة الأقطار العربيَّة إن عدتم عدنا، والبادئ أظلم، وفي النهاية دائمًا ينتصر أصحاب الأرض في الوقت الصحيح إن لم يتأخروا عن دفع

الثَّمن واجب الدفع، وعلى أيَّة حال فإنْ تأخّروا تأخَّر طرد المستعمرين عن تراب أوطانهم.

ولذا أقول:

إنَّ خطر تلك الفكرة سيلاحق دول الخليج العربي لسببين:

الأوَّل- العَدْوَةُ: ثورات ضبط الإيقاع، ثورتي: (الجزائر، والسودان)، اللتانِ جاءتا نتاج تحسين ثورات الرّبيع العربي، فلا شكَّ أنَّ جيناتها ستكون على السّكة إلى دول الخليج عدوة وفقًا للفكرة التي أقرَّها من أقرَّ وجوب تغيير أحوال الشرق الأوسط.

الثّاني- مضاعفة أعداد الأيدي العاملة: التي أصبحت أضعاف عدد السكّان الأصليين لدى بعض دول الخليج العربي، فهي لا شكَّ ستشكِّل خطرًا على مستقبل الهويَّة، واللغة، والثقافة، والأنظمة، والأمن، وستكون ذات أثرٍ مباشرٍ في عمليات التغيير.

- أمَّا المغرب العربي فألوان طيفه الجميلة موزَّعة بين بني سليم، وبني هلال، وأمازيغ، وطوارق، وتبو، وغيرهم من العرق الزنجي؛ ولذا فأمر التركيبة الاجتماعيَّة لم يكن خافٍ عن أصحاب الفكرة؛ ولذا فهم متى ما شاء لهم القدر شاءوا.

ولأنَّ المغرب العربي يشكّل جبهة جغرافيَّة، وتاريخيّة في مواجهة الغرب الذي رازهم وزنًا مرّات عدّة: احتلالًا، وتحريرًا، وتقتيلًا، واستشهادًا، ونصرًا فقاعدته المنطقيَّة لا تختلف مع تلك التي أقرَّها عرب الخليج، ومصر، والشَّام، والعراق، والسُّودان، والصُّومال وهي: (إن عدّتم عندنا، والبادئ أظلم).

وعليه: إنْ لم تكن أنفسنا مملوءة خوفًا ممّا يحاك ضد شعوبنا وأوطاننا، وديننا، ومستقبلنا، وحرّيّتنا فلا يمكن أن نكون مشاركين في صناعة المستقبل الإنساني، الذي تبرز بعض من رؤاه باسم العولمة، وعلينا أن نعرف أنَّ عصر جان جاك روسو وعقده الاجتماعي قد ولّى؛ إذ لا مكان اليوم لفرض الرؤية الواحدة، والقبيلة الواحدة، ولا مكان للتوريث كرهًا، ولا مكان للإقصاء، والتغييب، والتحقير، والتعذيب، وتزوير الانتخابات، كلّ شيء في مرضاة النَّاس على البلاطة، ولا شيء لإكراههم؛ ذلك لأنَّ زمن الحكم من على ظهر الدبّابات قد ولى كما ولى عهد موسوليني، والفاشية، والماركسيَّة، وبدأ يظهر في الآفاق عصر النَّاس سواسية أمام القانون، كما هم سواسية أمام الله، وبدأ يظهر عصر انتهاء المتناقضات بسيادة التنوُّع، واستيعاب الآخر وتقبُّله هو كما هو من أجل أن يصبح على ما ينبغي أن يكون عليه في أحسن تقويم.

وهنا نقول للذين اتخذوا مدينة أفلاطون أنموذجًا لمدنهم في القرن العشرين: إنَّ زمن مدنكم قد ولَّى فمدينة أفلاطون التي تُدعى بالفاضلة هي في حقيقة أمرها ليست فاضلة، أي: هل يُقبل أن تكون مدينته فاضلة والمرأة فيها تُحرم من ممارسة السُّلطة؟ وهل يمكن أن توصف بالفاضلة والعبيد فيها أكثر من الأحرار عددًا، وهم جميعهم محرومون من ممارسة السُّلطة؟ وهل يمكن لأحدٍ أن يصفها بالفاضلة وهي تَحرم المعاقين، وكبار السّن من ممارسة حقوقهم الطبيعيَّة، وتدعو للتخلّص منهم أحياء في مواجهة الطبيعة؟ وهل لمن يمتلك أخلاقًا، أو فضيلةً، وقيمة حميدة أن يقبل بقانونها الذي سنَّت فيه: أن تمارس المرأة الرّياضة عارية أمام الرِّجال، وأنَّه لا مكانة فيها للأسرة،

فالنساء الحسناوات حقّ مشاع للفلاسفة، أمَّا اللاتي لا جمال لهنَّ فحالهن كحال العبيد؟

ولمتسائل أن يتساءل:

لماذا وصل الحال بالنَّاس إلى هذا الحد؟

أقول:

لأنَّ الجُبن في أنفسهم حلَّ محلَّ الخوف.

ولأنَّ الخوف هو صانع المستقبل فهو بلا شكّ سيكون المحرّر للعبيد.

ولسائلٍ آخر أن يسأل:

متى يتحرَّر عبيد الأنظمة السُّلطانيَّة؟

أقول:

عندما يرون أنفسهم عبيدًا لله تعالى، لا عبيدٌ للسُّلطان، ولا للمادَّة، ولا للشهوة المفسدة لمكارم الأخلاق، ولهذا دائمًا الخوف من الله يُحرّر العبيد من العبيد، فكلّ شيء تخافه تهرب منه، إلّا الله تعالى من خافه فرّ إليه: (فرَّ من سخطه إلى رضوانه)، ومن وعيده إلى وعده، فلا ملجأ ولا مَنجى منه إلّا إليه[36].

العالمُ سيتغير والمستقبل للإسلامِ:

إنَّ عدد المسلمين في دول العالم في حالة تزايد أضعاف مضاعفة إذا ما قورن بنسبة الزِّيادة السكّانيَّة للأهالي المحليّين؛ ولهذا فإنَّ الديانة الثّانية في

[36] ناصر الزهراني، الله أهل الثناء والمجد، ص 681.

جميع دول العالم أصبحت بحمد الله تعالى الديانة الإسلاميّة، ما جعل المستقبل للإسلام، ولأنَّه لا إكراه في الدِّين، والإسلام هو الديانة الخاتمة، وللنَّاس كافَّة، فالدين الإسلامي دين الجميع هدايةً؛ ولذا فلا داعي للإكراه، ولا داعي للرَّفض ولا المكابرة، وفي مقابل ذلك حقيقة أنَّ الدِّين الإسلامي لا يخصُّ من اسلم وحده، إنَّه دين الكافَّة فمَن آمن سلم، ومَن لم يؤمن بعد فالفرصة أمامه، ولا أحد يستطيع قفل أبوابها، بل الذين آمنوا هم المقصِّرون إن لم يدعو الآخرين إلى الإسلام بالتي هي أحسن، ولهذا فلا حرب إلَّا مع معتدٍ ظالم.

ولأنَّ لكلِّ عصرٍ ثقافةً، ولكلِّ مجتمعٍ ثقافةً، فإنَّ في دائرة التَّاريخ لا استقرار لأيَّة ثقافة، ولهذا فالثَّقافة التي سترِثُها الأجيال القادمة تختلف اختلافًا كثيرًا عن ثقافتنا، وهذا ما تؤكده التقارير البحثيَّة في العالم، وعلى رأسها التقرير الكندي الذي نشر في 20 مايو 2017م، والذي جاء في نصوصه أنَّ: "فرنسا وألمانيا ستُصبحان جمهوريتيَّن إسلاميتيَّن خلال 40 عامًا، وملامح العالم ستتغيَّر، وأروبا عصبيّة إلى الزَّوال".

وكما ينصُّ التقرير فإنَّه لا إمكانيَّة لأيَّة ثقافة أنْ تستمر أكثر من 25 عامًا ما لم يكن معدَّل الإنجاب في كلِّ أسرة بمقدار 2.11، ولن تستطيع أيِّ ثقافة البقاء أبدًا مع معدل الإنجاب 1.9.

أمَّا من يصلَ الحال بهم انحدارًا إلى معدل1.3 فلا إمكانيَّة لرجوعهم إلى ما ينبغي أن يجعلهم يعودون إلى ما كانت عليه ثقافتهم إلَّا بعد أعوامٍ

من الزَّمن: 80 – 100 عام؛ لكي تُصحِّحُ الثقافةُ مسارها، ولهذا لا يوجد أيِّ نظام اقتصادي يستطيع أن يصمد طوال هذه المدّة.

والعمليَّات الإحصائيَّة تُثبت أنَّ الزَّوجين عندما ينجبان طفلًا واحدًا فإنَّهم قد عملوا على التخلُّص من نصف عدد الآباء، وهكذا من بعدهم عندما ينجب أبناؤهم طفلًا واحدًا؛ فيصبح عدد المواليد ربع عدد الأجداد.

وعليه: كلَّما تقلَّص عدد السُّكَّان تقلَّصت معهم الثَّقافة، ومن هنا الخطر يهدد الشُّعوب الأوروبيَّة، وثقافاتهم ففي عام 2007 كان معدل المواليد في فرنسا 1.8، وفي إنجلترا 1.6، وفي اليونان 1.3، وفي المانيا 1.3، وفي إيطاليا 1.2، وفي سويسرا 1.1، وكان المعدل على مستوى الاتحاد الأوروبي 1.38، ومن هنا تقول الأبحاث التاريخيَّة: هذه الأرقام لا إمكانيَّة لتراجعها؛ ولذا كان الطلب من الدِّول الأوروبيَّة على الهجرة الشَّابة نوعيًّا: (مهندسين، وفنيين، وأيدي عاملة جيدة، وقابلة للصقل، والتأهيل والتدريب، والتعليم). وللعلم أنَّ 90% من هؤلاء المهاجرين وفقًا للتقرير الكندي هم مسلمون.

وبمقارنة النِّسب الإحصائيَّة نلاحظ الفارق الكبير بين نسبة الزّيادة عند المسلمين والأوروبيين، فعندما كانت الزّيادة السُّكانيَّة عند فرنسا 1.8، كانت نسبة زيادة المسلمين: 8.1، ومع أنَّ جنوب فرنسا يُعدُّ أكثر المناطق من حيث عدد الكنائس في العالم، فأصبحت اليوم في هذه الرقعة الجغرافيَّة عدد المساجد يفوق تلك الكنائس، وأنَّ 30% من الأطفال ما بين سن

العشرين وأقل هم من المسلمين، وقد ارتفعت هذه النسبة في المدن الفرنسيَّة الكبرى مثل: نيس، وباريس، ومارسيليا إلى 45%.

وهكذا قد ارتفع عدد المسلمين في بريطانيا بزيادة 30 ضعفًا، وفي هولندا، وبلجيكيا 50% من المواليد الجدد هم مسلمون، ومن ثمَّ سيكون نصف سكانهما من المسلمين، ومن هنا صَرَخَتْ حكومة بلجيكيا قائلةً: إنَّ ثلث أطفال أوروبا سيكونون في عام 2025م من المسلمين؛ ومن هنا ستكون المانيا، وفرنسا، وبلجيكيا، وهولاندا خلال الثلاثين عامًا القادمة ولايات إسلاميَّة، وهكذا سيكون حال أوربا بكاملها فلا يأس، ولا قنوط لأنَّ الله تعالى شاء أن تكون الرِّسالة (الإسلام) للكافَّة، ولا إكراه في الدين.

وفي روسيا هناك ما يزيد عن 25 مليون مسلمًا، وحسب التقرير الكندي: سيكون في السنين المقبلة على الأقل 40% من الجيش الرُّوسي من المسلمين.

أمَّا الولايات المتحدة الأمريكيَّة فنسبة الزيادة السكانيَّة تبلغ: 1.6، وهذه لا تكفي للحفاظ على الثَّقافة، ومن ثمَّ فهي متحكِّمة في نوعيَّة المهاجرين إليها بما يحافظ على الثَّقافة، ما جعل نسبة معدل الزيادة: (بعد المهاجرين) تبلغ: 2.11، وهذه النسبة تكفي للحفاظ على الثَّقافة، ووفقًا للتوقُّعات الإحصائيَّة فإنَّ عدد المسلمين خلال الأعوام غير البعيدة سيكون في الولايات المتحدة الأمريكيَّة متجاوزًا للخمسين مليون مسلمًا، وهكذا نسبة زياد المسلمين تتزايد في مواجهة مع نسبة الزيادة الكنديَّة، التي لم تتجاوز نسبة 1.6 من المواليد الكنديين.

ومن هنا أقول:

لا مستقبل للإسرائيليين إذا لم يصلحوا حالهم مع العرب من الآن؛ ذلك لأنَّ المستقبل في دواليب السياسة الدوليَّة سيكون بمؤثرات إسلاميَّة، سواء أكان في مجلس الأمن، أم في الأمم المتحدة والجمعيَّة العامَّة، أم في البرلمانات الأوروبيَّة، والأسيويَّة، والأفريقيَّة، والأمريكيَّة، والأستراليَّة.

وأقول أيضًا: أيِّ اتفاق يجري الآن مع الفلسطينيين تحت مظلَّة المغالبة لا مستقبل له؛ ولذا فما يؤخذ الآن محبَّةً، وودًّا، وعن تراضٍ يبقى حيًّا بين النَّاس ودًّا، وما يؤخذ من النَّاس كرهًا، سيحيي الكره والثأر فيهم، وكأنَّه لم يمضِ دهرًا.

سرابُ الوهم:

مع أنَّ الوهم يُحفّز على ركوب المخاطر فإنَّه لا إمكانيَّة للتحدّي به، فهو يوصلك راكبًا إلى نصف مقصدك، ويتركك هناك حافيًا حيث لا وسيلة للمفرِّ من الوقوع في المصيدة، وفي حالة ما حاولت الفرار فلن تجد طريقًا خاليًا من الأشواك والحُفر، وعندما تصبح الطُّرق والمنافذ مليئة بالأشواك والحُفر يعرف الواهم إنَّها من تلك البذور التي بذرها بين النَّاس وهمًا وفتنةً.

وعندما يقع الواهم في الفخّ وتنكسر هيبته وسياسته يتخلّى عنه معظم الواهمين مصلحةً، بل ويُلبسونه ما لم يكن قد لَبِسَهُ من قبل، وعندما يقع في الفخ تلاحقه اللعنات، وكأنَّه لم يكن لهم رمزًا، ولم يكونوا له من قَبلُ سندًا.

ومن ثمَّ فرؤوس النّصر دائمًا كثيرة، أمَّا الهزيمة فلا رأس لها إلَّا الوهمُ، ولهذا عندما تضعف الدَّولة وتنهزم لن تنال الاحترام حتى من أهلها، وهكذا

حال القادة عندما يُهزمون يتخلّى عنهم الأقارب والأباعد، وبخاصّة إن كانوا ممن امتلكوا المال وأفسدوا، وهذه تتضح جليًّا في مجتمعات دولة العصبيَّة (قبيلة أو طائفيَّة).

وعندما تسقط الدّولة؛ إذ لا مؤسّسات، ولا نظم ولا قوانين، ولا رجالات أمن يعود البعض إلى قبائلهم التي بهتت صورتها من القدم؛ لينفخوا الرّوح فيها بغاية الاحتماء من الفوضى ودرء المخاطر، إلى أن تعود مؤسَّسات الدّولة لطبيعة عملها فيعودون، وفي الوقت ذاته تَبعث روابط التماسك روح العصبيّة في أهل المدينة من أجل البقاء الآمن، وتفادي المخيف، وفي معظم الأحيان الرؤوس التي تظهر في زمن الفوضى ليست برؤوس وطنيّة، ولا اجتماعيّة، بل في معظمها رؤوس سلب ونهب وإفساد لرأس مال الوطن.

ومع أنَّ لكل وهمٌ ردة وهمٌ فإنَّ منهاج الواهمين واحدٌ وإن اختلفت الأساليب، فالسَّارق هو السَّارق، والكاذب هو الكاذب، والواهم هو الواهم، والأناني هو الأناني، والمفتن هو المفتن، وهؤلاء في الدّول الفاسدة يفضّلون على غيرهم من أهل القيم الحميدة، فيجندون من قبل أجهزة القمم السُّلطانيَّة، وفي المقابل لا ضحيّة لهؤلاء إلَّا الشُّعوب ومؤسّسات الدّول.

ومن ثمَّ تجد رجال الأمن السرِّي يكتبون التقارير في الكلّ، والكل عندما تتاح له الفرصة يكتب التقارير في رجال الأمن، ومن ثمَّ في زمن تحكّم الوهم في الدّولة لا سقف لكتابة التقارير ونشر الوشايات، وزرع الفتن، واختلاق المؤامرات، ودس المكائد، ولكلٍّ وهمهُ؛ ولذا فالحاكم الواهم حتى وإن جاءته في أحد المواطنين وشاية كاذبة فلا يظنها كذبًا، بل يعدُّها صادقة

ما لم يثبت التحقيق بالإكراه بطلانها، ولهذا سُجن من سُجن ظلمًا، وقُتل من قُتل ظلمًا، وهاجر من هاجر ظلمًا، ومن هنا لا شيء يُطمئن قلب الحاكم كرهًا إلَّا المبايعات وإن كانت وهمًا، والمبايعة التي لا تحدَّد بمبايعات من بعدها تعد باطلة وفاقدة الصلاحية ولا يؤخذ بها، ولا ثقة في أهلها؛ ولذلك تسجّل المبايعات وتعرض على الشاشات المرئيّة أكثر من أيّ موضوع ولو كان المواطن في حاجة ماسّة إليه.

إذن: عندما يصبح هكذا فلا صفة للدّولة إلَّا (الوهم)، ولنفرِّق بين الدّولة الواهمة والدّولة غير الواهمة: ففي الدّولة غير الواهمة الدين ينتشر بالحُجَّة، وفي الدّولة الواهمة المذاهب تنتشر تحت مظلة السُّلطان الواهم، وهذا الأمر يجعل الصّراع داخل الدّولة على المنابر بين من يدعو لله، ومن يدعو للحاكم.

ولأنَّ الدّين السَّماوي من عند الله فبعض الحكَّام المسلمين يتخذونه مظلّة ليقال عنهم إنَّهم أهل التقوى، وفي الوقت ذاته منهم من يتقدّم ليصلِّي بالمصلّين ولا علاقة له بتقوى الله، وفي هذا الشأن فإنَّ أخطر شيء يمكن الإشارة إليه أن يتحالف السُّلطان مع الفقيه، وحينها تلتحف السّياسة بالدين، ويلتحف الدين بالسّياسة، مما يجعل وهم السّياسة في الدين، ويجعل الدين في السّياسة وهمًا.

أي: يُصبح الفقيه داعية للسُّلطان، والسُّلطان داعية للفقيه، ومن بعدهما لا يبقى أحدُ المسئولين في الدّولة داعيّة للدين، وعلى هذا الغرار انقرض المذهب المعتزلي، وانتشر المذهب الأشعري بعد أن اعتنق صلاح

الدين الأيوبي المذهب الأشعري، وأصبح الأزهر الذي كان شيعيًّا إسماعيليًّا أيَّام الدّولة الفاطميّة سُنيًّا، ومن ثمَّ نشرت السُّلطة المذهب الأشعري، وتغيّر الفقهاء والمشايخ والقضاة، ثم ألغي تدريس المذهب الشيعي في المعاهد الدينيَّة؛ ذلك لأنَّ دائمًا حوالي 90% من المشايخ والعلماء هم في الاتجاه المرضي للسُّلطان الحاكم، وفي المقابل السُّلطة تعمل على نيل رضاهم وعدم معاداتهم، لما لهم من أثر على العامّة وبخاصَّة على المتتلمذين.

ولأجل أن يستمر السُّلطان أمنًا ولا تكون الفتنة بين المذاهب استوعبت الدّولة المملوكيَّة المذاهب الإسلاميّة الأربعة: المالكيّة، والحنيفيَّة، والحنبليّة، والشافعيَّة، كما أنّها اهتمت بالصوفيَّة أيضًا، ومع ذلك فالتصالح مبدأ مستمر بين السُّلطان والفقهاء، وهذا المبدأ مثلما جعل للوهم السُّلطاني حدًّا جعل لوهم الفقيه حدًّا.

ولأنَّ الوهم لا يفارق عقول الواهمين خوفًا أو طمعًا، فالعلاقة بين آراء السُّلطان والفقيه فيها من التوفيق ما فيها، وفيها من التلفيق ما فيها؛ إذ هناك من الأمور السُّلطانيّة ما لا إمكانيَّة لتمريرها ما لم تُجزْ من الفقيه ولو بشيء من المجاملة والتنازل وغض النَّظر، وكذلك هناك من الآراء الفقهية ما يعيقها ما لم تُجزْ هي الأخرى من السُّلطان بشيء من المجاملة والتنازل، ومع أنَّ البعض لا يرى تنازلًا إلَّا عن قناعة فإنَّ تنازلات مثل هذه لا تتم إلَّا وهمًا.

إذن: هناك علاقة بين الوهم وتقديم التنازلا، فتقديم التنازلات كرهًا له ردَّات فعل قاتلة في الزّمن غير المتوقّع؛ ولذا فالسُّلطان الذي أسَّس حكمه كرهًا سيكون واهمًا إن نام يومًا من دون أوهام مزعجة، أمَّا تقديم التنازلات

ضرورة وإرادة فهي لا تخرج عن تبادل المصالح وسلامة البقاء الآمن، ومع ذلك فأمر الضرورة فيه من الوهم ما فيه.

ولنأخذ أنموذج التحالف الذي جرى بين محمد بن عبد الوهاب، ومحمد ابن سعود 1158هـ - 1745م بغرض أخذ النصرة المتبادلة؛ حيث تنازل محمد بين عبد الوهاب عن السُّلطة السياسيَّة لمحمد بين سعود بغاية مفادها: لك السّمع والطَّاعة بشرط الدّفاع عني، وفي المقابل يصبح محمد ابن سعود داعمًا لأفكار محمد بن عبد الوهاب ومدافعًا عنه، كما نصّ ميثاق الدرعيَّة على الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة التوحيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع والخرافات[37].

إنَّه اتفاق من أجل البقاء، ومغالبة لمن لم يكن مشاركًا؛ ولهذا فمن لم يكن مشاركًا ولا مُبارِكًا سيظل خصمًا وإن اتبع تُقية يستظل بها أمام أعين المؤيدين والمناصرين.

ولهذا فالوهم وإن غيَّب الذّاكرة يصعب عليه أنْ يُغيِّب العقل بالمطلق، أي: إذا غُيِّبَ ما يُوعِظ أو تؤخذ العبر منه أو يُذكِّر، فمن الصَّعب ألَّا يفكر العاقل في غَدهِ ولو كان وهمًا.

والعقل الذي قيَّد نفسه بإمكانه أن يفكّر في كيفيَّة فك القيد عنه، أي: العقل الذي أوهم نفسه بما أوهمها به، فهو في دائرة الممكن بإمكانه أن يكسر قيد الوهم عنها.

---

[37] سليمان بن عبد الله، التوضيح عن توحيد الخلاق، الرياض: دار طيبة، 1404هـ، ص25-26.

والعقل الذي لا يرى مرجعيَّة له إلَّا الماضي، ولا مستقبل له إلَّا بالعودة إليه فهو واهم، ومن ثمَّ فمن ينقلب على نظامٍ سياسي، أو اقتصادي ويستخدم المنهج والوسيلة نفسها، سيكون واهمًا إنْ ظنَّ أنَّه سينال رضا مَن أيَّده ساعة انقلابه على تلك الأفكار والأساليب التي أعطت مبرّرًا لتأييده منقلبًا.

وفي المقابل من ينقلب على نظامٍ سياسي أو اقتصادي ويلغي كلّ الجهود التي سبقته بناءً؛ فهو واهمٌ إنْ اعتقد أنَّه سيكون ناجحًا في تحقيق منجزات أمنيّة، أو سياسيّة، أو اقتصاديَّة، وهذا ما حدث بالتمام في العراق بعد الانقضاض على الرّئيس صدَّام حسين وإعدامه، حيث صدر قانون العزل السّياسي الذي به تمَّ القضاء على أهل الخبرة والدراية والتجربة؛ فدمرت إدارات الدَّولة، وتأخرت نهضة البلاد، وهكذا كان الحال في ليبيا بعد الثّورة على العقيد معمر القذافي والإطاحة بنظامه واستصدار قانون العزل السياسي، الذي هو الآخر كان سببًا في التصادم والاقتتال، والهيمنة والإقصاء لأهل الخبرة والدراية والتجربة؛ فكان الاقتتال بين بني الوطن شدّةً ولا رأفة فيها.

ومع أنَّ هذه من العيوب المترتبة على التغيير فإنَّ الكفّة المقابلة لكفّة العيوب قد رجحت بمميز كسر الوهم وامتلاك الحريّة ولا مخاوف.

وإنَّ الذين لا يرضيهم التغيير حُلمًا منهم بعودة المجرَّب الذي سئمت الشّعوب منه فكرًا، ومنهجًا، وأسلوبًا، وفشلًا؛ فهم كمن يأمل عودة الميت

من قبره، أي: إنَّهم الواهمون إن لم يقلبوا الصَّفحة من أجل مستقبل مرضٍ يكونون ركيزة من ركائزه.

ولأنَّه لا مستقبل لفرض الأمر الواقع، والتمسُّك بالمجرَّب فشلًا ووهمًا فلِمَ لا يُحسم الأمر عدلًا بانتخابات نزيهة بها تُفرز الأوراق بكل نزاهة وشفافيَّة، مع أخذ الحيطة والحذر من أوهام المرشَّحين بدعايات فاقدة للمصادق. فهم بما يدَّعونه قبل إجراء عمليَّة الانتخابات لا شكّ أنَّهم سيكونون مخالفين لما بعد الفوز وممارسة أعمال حَمْل المسئوليَّة الوطنيّة، وأكثر النَّاس ضحيّة للدّعايات الانتخابيَّة هم: الشَّباب، والمرأة الذين سينكشف لهم الزيف وانعدام المصداقيّة من خلال بقاء العهود الزائفة وهمًا من بعد وهم؛ إذ لن تجد المرأة المكانة التي حلمت بها في تلك الدّعايات، ولن يجد الشّباب من يسأل عنهم، أو حتى يذكر اسمهم كما كانت تتصدّر الصّحف والإذاعات المسموعة والمرئيَّة.

والوهم مع أنَّه يتكرّر فإنَّه لا يفقد حيويَّته؛ ولهذا فالبعض يقع في المصيدة أكثر من مرّة، والوهم مثل لاعب الورق يمكن أن يخسر، ويخسر، ثمَّ يخسر وفي كل خسارة الوهم لا يفارقه، بل يمده بالحيويَّة التي تعيده إلى المنزل ولا شيء لأبنائه بين يديه، ومع ذلك سيكون مترقّبًا للصّباح أو المساء بوهمِ العودة وحيويَّته إلى لعب الورق وهمًا.

هكذا هو الوهم عندما يسيطر على المدركات الموجّهة للعقل، أو الفعل، أو السُّلوك، ويتّضح مثل هذا الوهم عندما يلتقي المتخالفون، أو المتقاتلون عن طريق الوسطاء فينكشف حال ذلك النّصر الموهوم به بلا

مكانة على طاولة المفاوضات، بل الوهم وحده مطأطئ الرَّأس أمام الحقيقة (انتصار من لم يكن واهمًا وهزيمة الموهوم)، وفي هذا المشهد سيكون المنتصر في جلسة التفاوض هو من يُملي شروطًا، وفي المقابل سيكون المنهزم هو من يقدّم التنازلات، ومع ذلك وعن غير وهمٍ لا استغراب أنْ يسقطك الخصم أرضًا، ولكن الاستغراب ألَّا تهمّ وتنهض.

وعندما يكون التفاوض بين السّياسيين وأهل الفضائل الخيّرة ستكون دلالات المفاهيم في أثناء التفاوض مختلفة؛ وذلك باختلاف الأغراض والغايات؛ فالسياسي في بعض الأوقات لا تهمه الأخلاق، بل ما يهمه كسب المواقف، ومن ثمَّ عندما يقال للسياسي: أنَّ فلانًا مُشركٌ أو كافرٌ ولا أخلاق له؛ سيقول: لا يهمني دينه ولا أخلاقه، بل ما يهمني أن يكون حليفًا لنا، وفي المقابل سيقول صاحب الفضائل قول الله تعالى: {وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ}[38].

أمَّا في حالة اعتدال كفَّتي التفاوض فسيكون الواهمُ هو مَن يبدأ بإعطاء التنازلات، فهو إنْ قَبِل بالنّزول درجة من على درجات السُّلّم يقابله المفاوض خصمًا بالصّعود درجتين على ذات السُّلّم؛ إذ في بدايات التفاوض لا وجود لحُسن النيَّة في قواميس المتخاصمين، وكل طرف متربّص بالآخر؛ مما يجعل النتيجة بينهما صفريَّة؛ ولن تحدث حركة موجبة بينهم في اتجاه الحل إلَّا إذا عرف كلّ منهم أنَّ الطرف الآخر متمسّك بالحقيقة، فحينها يبدأ الميل

[38] البقرة 221.

والاقتراب من المركز (الحقيقة)، وتصبح التفاهمات وحدها هي المخرج من التأزُّم.

ولأنَّ الحياة مدرسة فعلينا أن نتعلَّم فيها حتى ننجح، فنعرف كيف نتّفق، وكيف نختلف، وكيف نفكِّر، وكيف نواجه، وكيف نتحدَّى، وكيف نصنع أملًا من ورائه مأمول عظيم.

ولأنَّ زمن التنظيرات السياسيّة قد ولَّى فعلينا بالالتفات إلى عقولنا فهي قادرة على الإصلاح، وقادرة على تجاوز مرحلته وبلوغ الحلّ، فالذين كانت عقولهم تقاد بعقلِ مشيل عفلق، أصبحت عقولهم اليوم ممتلئة بمشاغل الحياة، ولا وقت لديهم للضياع، ومع أنَّ مشيل عفلق لم يعد على قيد الحياة فالوهم ما زال حيًّا، ومن تعلّقت عقولهم بعبد النَّاصر فعبد النَّاصر قد مات، ومن تعلّقت عقولهم بأفكاره فمعطيات الحياة قد تغيَّرت، وكذلك الذين تعلَّقت عقولهم وقلوبهم بأفكار حسن البناء وسيّد قطب فإنَّهما قد ماتا، ولم تعد هناك تربة صالحة لإنبات أفكارهم، ومن يوهم نفسه في هذا العصر بحرث الأرض وزراعتها بأفكارهما؛ فهو كمن يحرث في البحر، وهذا بالتمام حال الدّول التي تأسّست أو بُنيت بأفكار شخوص قد انتهت، بل سقطت كما سقط الاتحاد السوفييتي الذي تأسّس بعد ثورة 1917م على أفكار ماركس وهيجل ولينين، وهكذا لم يعد لأفكار ماو تسي تونج مكانًا في الصّين، وسقطت جماهيرية القذافي وطويت صفحاتها كما طويت من قبل صفحات المدينة الفاضلة والإمبراطوريات عبر التَّاريخ.

وعليه؛ فإنَّ دائرة التّاريخ دائمًا مملؤة بالمفاجئات والعجائب والمستغربات، فبالمقارنة بين ما تلعبه أمريكا من أدوار، وما كان يلعبه الاتحاد السوفييتي وحفيدته اليوم (روسيا) من أدوار، لا يجعل البعض يتوقّع أنَّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة هي التي أصبحت تتبنّى ثورات الشّعوب، وأنَّ الوريث الشّرعي للاتحاد السوفيتي (روسيا) هو المتخلّي عن هذا الدّور الذي كان أكبر متبنٍ له. أي: إنَّ الزّمن الكفيل بترويض الطُّغاة، سيكون هو الكفيل باستبدال المواقف بين متوقّع وغير متوقّع.

ولذا عندما لا يسيطر الوهم على عقولنا فلا استغراب أن نرى من نراهم اليوم في صدارة المشهد السياسي الليبي خارجه بالتمام، وسنكون واهمين إن قلنا: سيخرجون منه بيسرٍ وسلامٍ، ومع ذلك عندما تضع المؤسّسة الأمنيّة أقدامها على أرض الدَّولة فلن يكون أمامها رؤوس العصابات ومساعديهم وأعوانهم مخيفين، ولن يكون لمن شيَّخ نفسه على من شيَّخ شيخًا، ولن يكون من تصرَّف في المال العام سلبًا ونهبًا وتحويلًا فالتًا من الملاحقة والعدالة.

وكلّ من يعتقد أنّه يستطيع أن يتربّع على مقاعد القمم السُّلطانيَّة تحت أيّ عنوان من العناوين المحروقة؛ من قبليّة، وحزبيّة، وطائفيّة، وجهويّة؛ سيكون واهمًا؛ ذلك لأنَّ الوطن إن لم يحكمه مواطنوه، لن يكون وطنًا أمنًا ولا مستقرًّا.

ومن ثمَّ فإذا تعرّض الوطن لخلافات وصدامات بأيِّ علّة من العلل فلا مخرج آمن للمواطنين إلَّا أحد أمرين:

الأوَّل: المصالحة الوطنيَّة التي تستجيب لمطالب الجميع دون استثناء؛ فلا غالب ولا مغلوب، فمن قتل نفسًا بغير حقّ فحكم الله فيه مرضٍ، ومن هتك عرضًا؛ فالقصاص عدل لا مفرّ منه، ومن نهب مالًا فعليه ردّه، أو تقبّل العقاب القانوني، ومع ذلك؛ فللعفو والصّفح مكانة في قلوب النَّاس، والصُّلح خير، ولأنَّ الصّلح خير، فيجب أن يأتي الجميع لهذا الخير، وبخاصّة من يرى نفسه منتصرًا حتى لا تضيع الفرص الجامعة للشمل الوطني.

الثّاني: بناء الدّولة الوطنيَّة التي تستوعب الجميع، ولا تستثني أحدًا، إلّا من استثنى نفسه بفعل يجرّمه القانون؛ ولا إقصاء، ولا تهميش، ولا حرمان، ولا هيمنة، ولا عزل سياسي؛ ففي الدّولة الوطنيَّة تمارس الحقوق، وتؤدَّى الواجبات، وتحمل المسئوليَّات وفقًا للصلاحيَّات والاختصاصات الدستوريَّة والقانونيَّة[39].

وعليه: لقد ولَّى زمن التنظير واتباع الأوهام، فالشّعوب اليوم لا تريد من يتحدّث لها عن الوطن، أو يتغنى به، بل تريد أن تعرف ماهيّة الوطن الذي ينبغي أن تتغنى به؛ فأخبار اليوم في الوطن العربي الذي أصبح أوطانًا مختلفة في مجملها أخبار وطنيَّة، ولكن عندما يخبرونك عن الوطن فهم بالتمام كمن يخبرك عن كتاب، وليس له ما يقدِّمه منه سوى الغلاف، ونسي أنَّ القُرَّاء يريدون كتابًا وليس غلافًا.

ولأنَّ كل شيء قابل لأنْ يتغيّر، فالواهمون قابلون للتغيير في حالة ما إذا قُمنا بكسر أوهامهم بمعلومات صَائبة، ومع أنَّ الواهمين ليسوا بتلاميذ في

---

[39] عقيل حسين عقيل، الهوية بين متوقع وغير متوقع، القاهرة: الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2014م، ص 381 – 382.

فصولٍ دراسيّة فإنَّهم يتعرَّفون على الحقائق عندما تسود الحجّة في وسائل الإعلام، وخُطب السّياسيين، ومنابر العلم والعبادة.

وبما أنَّ كل ما دون المعجز والمستحيل ليس بمطلقٍ، إذن: فالوهم ليس بمطلق، ووفقًا لهذه القاعدة المعرفيّة فمن يرى: أنَّ الولايات المتحدة الأمريكيَّة قوّة لا تكسر فلا إمكانيَّة لنا إلّا أن نقول عنه لأنت واهمًا؛ لأنَّه لا قوّة في دائرة الممكن إلّا وتكسر.

وبناء على ذلك أقول: إنَّ مفهوم الضّعف في مواجهة مفهوم القوّة يعني: مواجهة مكسورٍ مع قابل للكسر، أي: إنَّ المكسور هو الضَّعف أو من أصبح ضعيفًا، أمَّا الذي لم يُكسر بعد فهو القوي أو مَن لا زال على القوّة؛ ولهذا تصبح القاعدة العلميّة: لا ضعف إلَّا من بعد قوّة، ولا قوّة إلَّا من بعد ضعف.

وفي هذا الشأن أقول لمن يرى أنَّ أمريكا قوّة لا تُقهر: إنَّ عليك أن تتذكّر ما جرى وكُتب في صفحات التَّاريخ البعيد والقريب، من سقوط الاتحاد السوفييتي الذي ظنَّ كثيرون لوقت قريب أنَّه لا ينكسر، ثم عاد ليقلّب الصفحات إلى الوراء لعرف أنَّ الشَّمس أصبحت تغرب عن تلك المملكة التي قالوا عن شمسها: لا تغيب، وأنَّ الإمبراطوريّة العثمانيَّة لم يبق منها إلّا تركيا، وأنّ التتار، والمغول، والعرب في الأندلس لم يبق لهم شيء يذكر إلّا الأثر، ثمَّ عليه أن ينتبه إلى الصّين التي لم تتحرَّر من الاستعمار الياباني إلّا في التَّاريخ القريب 1945م وبعد دعم ومناصرة روسيَّة أمريكيَّة،

وهي لا تعد إلّا من دول العالم الثَّالث، ولينظر إليها اليوم؛ إنَّها أصبحت الدَّولة العظمى المنافسة والمتحديَّة للولايات المتحدة الأمريكيّة.

ومن هنا فالضعيف إنْ هَمَّ من بعد سقوطٍ فبإمكانه أن ينهض، والقوي مهما عظمت قوّته ليس له من بعد القوّة إلّا الضّعف وحتى وإن حافظ على قوّته أعوامًا ودهورًا؛ وهكذا هي سُنن التدافع.

استغوال الوهم:

كلّما وقع خلافٌ بين الأفراد، أو الجماعات، أو المتربّعين على سُدد الحكم تولَّدت بينهم أوهام عظيمة تأسَّست عليها ردّات فعل أكثر وهمًا وتغوّلًا، وكذلك كلَّما استشعر البعض عظمة القوّة والسُّلطان تمادى في أوهام السَّيطرة وإكراه الغير، وتقليل شأن من لا يكون مؤيدًا لأوهامه.

ولهذا يعد التطلُّع لحكم الشّعوب بنظريّة فكريّة أو رؤية دينيّة أو عسكريّة وهمًا ينبغي أن يكسر قبل أن يستغول كما استغول نابليون بونابرت عندما أعلن نفسه إمبراطورًا على فرنسا، ثم رسم بأوهامه خطط التوسع الفرنسي على حساب دول أوروبيّة، وقد أحرزت فرنسا في عهده انتصارات كبيرة، ولكنَّه عندما غزى روسيا عام 1812م خسر المعركة، ومن بعدها خسر في مواجهة مع بريطانيا عام 1813م، وأجبر نابليون على التنازل عن العرش فاستسلم كرها وليس وهمًا[40].

وهكذا استغول هتلر بوهم العظمة والقوّة حتى انكسر وهمه بهزيمة دفع الشّعب الألماني ثمنها خسائر، فبعد أن استغول هتلر بجيشه الألماني الذي

---

[40] Harvey, Robert, *The War of Wars*. 2006. Robinson pp 62 – 83.

قام بإعادة بنائه غزا بولندا عام 1939م؛ مما أدَّى إلى اندلا ع الحرب العالميَّة الثَّانية، وخلال ثلاث سنوات احتلت ألمانيا ودول المحور معظم قارة أوروبا (عدا بريطانيا)، واحتلت أجزاء كبيرة من أفريقيا، ودول شرق وجنوب شرق آسيا، والدِّول المطلة على المحيط الهادي، وثلث مساحة الاتحاد السوفيتي (من الغرب حتى مدينة ستالينغراد). وفي عام 1945م نجحت جيوش الحلفاء في اجتياح ألمانيا من جميع جوانبها، وحتى سقوط برلين، وفي أثناء الأيَّام الأخيرة من الحرب في عام 1945م تزوج هتلر من عشيقته (إيفا براون) بعد قصّة حبٍّ طويلة، وبعد أقل من يومين، انتحر العشيقان، وتمَّ حرق جثتيهما على بعد أمتار من تقدّم الجيش السوفيتي في برلين، وهكذا دائمًا هي نتائج المتغوّلين وهمًا[41].

وهكذا يستغول الوهم كما استغول الاتحاد السوفيتي بوهم العظمة والقوّة حتى انكسر بتحطيم صور برلين، وتحرَّرت الدّول التي كان مهيمنًا عليها بجنون الوهم؛ مما أسفر في النّهاية عن إزالة الجدار؛ ومن ثمَّ أعلنت حكومة ألمانيا الشرقيّة عام 1989 بعد عدة أسابيع من الاضطرابات المدنية عن إمكانية جمع مواطني جمهورية ألمانيا الديمقراطيّة وزيارة ألمانيا الغربيّة وبرلين الغربيّة. فعَبرت حشود من مواطني ألمانيا الشرقيّة وتسلقت الجدار، وانضم إليها مواطنو ألمانيا الغربيّة على الجانب الآخر في جو احتفالي. افتتحت بوابة براندنبورغ في جدار برلين عام 1989، وبدأ هدم الجدار رسميًّا في عام

[41] Bloch, Michael (1992), *Ribbentrop*, New York: 1992, Crown Publishing, pp 57 – 93.

1990م، وانتهي من هدمه في نوفمبر عام 1991م هكذا كانت بداية الوهم، وهكذا انكسر في النهاية.

وكذلك كما استغول موسوليني بحزبه الفاشي حتى انكسر جيشه في ليبيا بمقاومة لم يسبق لها مثيل؛ حيث قَبِلَ الشَّعب الليبي الموت من أجل الحياة؛ فضحّى بنصف تعداد سكانه من أجل الحريّة فانتصر، وبعد أن غزت ألمانيا إيطاليا واحتلتها عام 1943 إلى عام 1945 انكسرت أوهام موسوليني فحاول الهروب، فتمت مطارته، وألقي القبض عليه، وأعدمته حركة المقاومة الإيطاليَّة عام 1945م. مع أعوانه، وعُرضت جثتهم في ساحة عامّة في ميلانو معلقة من الارجل أمام محطة لتزويد الوقود، ثَّم جاءت الجماهير تشتمهم، وتبصق عليهم، وترميهم بما في أيديها. وبعد انتهاء كل شيء أخذت الجثث ودفنت سرًّا في ميلانو. وفي سنة 1957م سُلِّمت جثَّة موسوليني لأهله لتدفن قرب مدينته التي وُلد بها، وأذكر مما يتجرَّأ أن يقوله الواهم ما قاله موسوليني بعد احتلاله ليبيا، قال: أنا خليفة للمسلمين في ليبيا، (يقصد بعد أن انتهت الخلافة العثمانيّة فإنا الخليفة البديل) فردّ عليه شيخ الأزهر: هل أنت مسلمٌ حتى تكون إمامًا للمسلمين؟، وسخر العالم من ادعاء موسوليني (مسلمين وغير مسلمين)[42]؛ ولهذا كل البدايات الواهمة نهايتها كسرُ وهمٍ.

هذه النتيجة التي سجَّلت نهاية موسوليني وكسرت وهمه تذكر بما حصل مع العقيد معمر القذافي الذي قُبض عليه بعد حكم دام 42 عامًا تقريبًا، ثمَّ قُتل، ومُثِّل بجثته، وعُرضت ثلاثة أيَّام في صندوق المبرِّدة (ثلاجة)،

[42] الموسوعة العربيَّة، بينيتو موسوليني، نسخة محفوظة 10 مارس على موقع واي باك مشين.

والمنتصرون يمرّون لمشاهدة جثمانه في مدينة مصراته، وكأنَّه لم يكن من قبل، مع العلم أنَّ جثَّته حتى كتابة هذا المؤلف مجهولة المكان، وفي دائرة المتوقَّع طال الزّمن أم قصر ستُسلّم جثته لذويه إن كان للجثة مكان معلوم لدى البعض.

وبالتّمام كانت النتيجة فظيعة مع تغوّل الرَّئيس صدام حسين الذي بنظرةٍ واهمةٍ انقلب على رفيقه الرّئيس حسن البكر، الذي هو الآخر قد انقلب على من سبقه من الواهمين بالانقلابات الواهمة، فكان انقلاب الرّئيس صدام حسين عام 1979م، ثمَّ كان غزوه للكويت وهمًا عام 1990م، وكان كسر وهمه عام 2003م بعد أن قُبض عليه مختبئًا في قبوٍ، وحُكم عليه بالإعدام، ونُفِّذ الحكم فيه شنقًا 2006م أمام شاشات التلفزة العالميَّة فانكسر وهمه[43].

أوهام دولة الخلافة:

أوهام دولة الخلافة حُلم يأمل أصحابه العودة إلى الماضي في الوقت الذي لا إمكانيَّة للعودة، ولهذا فالمتمسّكون بهذا الحلم هم كمن لا يرى وجودًا للزّمن المستمر مستقبلًا، بل الوجود للزّمنين الماضي والحاضر وهم في حالتهم هذه كمن لا يرى مستقبلًا إلّا في الزمن الماضي، أي: وكأنَّهم قد فقدوا ثقتهم في زمنهم الحاضر، ومن ثمَّ فلا يرون مستقبل مزدهر إلَّا في الزّمن الماضي الذي يستوجب العودة إليه.

[43] سامر محي الدين، الموجز في تاريخ الرئيس العراقي الراحل صدام حسين، بغداد: 2008م ص15.

إنَّ الحالمين بهذه العودة هم الحالمون بالعودة إلى زمن الخلافة أو عصرها وهو العصر الذي اصطفى الله له رُسُله لربط العلاقة بين السماوات والأرض، ووفقًا لقاعدة الاستخلاف الربَّاني فلا يخلف الرَّسُول إلَّا رسولًا من عند الله، ووفقًا لقاعدة الاستخلاف السياسي بين الأمم والشّعوب فلكلِّ عصرٍ من العصور خصوصيّة بها يتميَّز عن خصوصيَّات الآخرين ووفقًا لنواميس التدافع الإنساني.

ولذا فالرَّسُولُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لا يصطفيه إلَّا الله، والله تعالى لا يُخلِفُ رسولًا برسولٍ إلَّا بنبأٍ أو رسالةٍ، سواء أكانت رسالة للخاصَّة: (القوم، والمدينة، والقبيلة)، أم للعامَّة: (رسالة كافَّة)؛ ولهذا لا يخلفُ الرَّسُول إلَّا رسولًا، ومن ثمَّ فقد انتهى زمن الاستخلاف باستخلاف الرَّسُول الخاتم: (محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام)، أمَّا من بعد الرُّسُل الكرام فلا خلافة لأحدٍ على المسلمين، ومن يخالف ذلك فلا دليل أمامه إلَّا سراب الوهم.

ولهذا فمسمَّى: خليفة رسول الله لا ينطبق مفهومه مع مفهوم الاستخلاف، الذي يربط العلاقة بين السَّماء والأرض، فبعد انتهاء فترات بعث الرُّسُل صلوات الله وسلامه عليهم، أصبح الأمر بين أيدي النَّاس وفقًا لإراداتهم الحرَّة شورى؛ حيث لا إكراه في الدين: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[44]، والشورى هنا: مع أنَّها ذات مفهوم إسلامي فإنَّها لم تكن خاصّة بالمسلمين، وهي تعني: لا فوقيّة لرأي على رأي، ولا سيادة على النَّاس إلَّا النَّاس أنفسهم؛ إذ لا إملاءات، ولا إقصاء، ولا توجيهات من أحدٍ إلى أحد،

[44] الشورى: 38.

فللنَّاس الحق التَّام في إبداء الرأي، واتخاذ القرار في كل أمر يتعلّق بشئونهم السّياسيّة والاقتصادية والاجتماعيّة سلمًا كانت أم حربًا.

ولأنَّ الخلاف لن ينتهي بين الشُّعوب، إذن: فسيظل بينهم حيثما بقوا، ولا استغراب أن يخالف بعض النَّاس بعضًا، ولا استغراب أن يتصادم بعضهم مع بعضٍ، ولكن الاستغراب ألَّا تُصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة فتُصلح المعوجّ، وتدفعه تجاه الحلّ دون أيِّ وهم من أوهام الهيمنة والحرمان؛ أي: لا ينبغي أن يُلغى الخلاف، بل ينبغي أن يلاحق الاختلاف حلّا حيثما حلّ.

وعليه: في زمن الرّسالات والأنبياء الكرام كان الحلُّ يتنزّل على الأقوام والأمم والكافّة من السّماء تنزيلًا، أمَّا في الزّمن الذي بعد رسُول الكافة، فلا نبي، ولا رسالة بعد الرّسالة الخاتمة، كلّ شيء قد أُنزل، وبقي الأمر بين النَّاس شورى، سواء أكان أمر النَّاس سلمًا، أم حربًا، أم سياسةً داخليَّةً، أم سياسةً خارجيَّةً؛ فما يتّفق عليه من يتعلّق الأمر بهم يُقدَّر، ويحترم، ويعتبر؛ فَيُقر، ويؤخذ به عملًا، وفعلًا، وسلوكًا، وفي المقابل لا يؤخذ بما يخالفه؛ مصداقًا لقوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}[45]، وقوله: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[46]، وقوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[47].

أمَّا بعد اختتام الرّسالات والرّسُل، فأصبح للقيم الاجتماعيَّة مكانة، إلى جانب مكانة تلك الفضائل الخيِّرة، وكذلك أصبح لتنوّع اللغات

---

[45] البقرة: 256.

[46] الشورى: 38.

[47] الكافرون: 6.

ولاختيارات النَّاس أهميَّة ومكانة، ومن ثمّ، أصبح للدّساتير والقوانين المنفّذة لها أهميَّة مقدّرة بين الأمم والشّعوب؛ ولذا فإنَّ الأخذ بالقيم الحميدة يؤكّد أهميَّة تلك الفضائل الخيّرة في ترسيخ قيمة الإنسان، وحفظ كرامته من خلال عدم إكراهه بأيَّة عِلّة، ومن خلال مشاورته في كلّ أمر يتعلّق به وبمصيره، وفي المقابل من يغفل عن أهميَّة ذلك، سيجد نفسه واهمًا حيث لا حجّة تدعمه.

ولأنَّ الأمر أصبح من بعد الرّسُول شورى بين النَّاس الذين يتعلّق الأمر بهم كانت سقيفة بني ساعدة مكانًا للتشاور في مَن يكون رأس الدّولة من بعد الرّسُول الكريم، وهناك قد تعدّدت الرِّوايات حول ما حدث تحديدًا في هذه الحادثة، واختلفت الرؤى على صحّة الاختيار في المفاوضات؛ فبعد وفاة نبي الإسلام محمَّد عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، ورشّحوا سعد بن عبادة، ولكن حينما سمع عمر بن الخطاب بهذا الأمر، أخبر أبا بكر الصدّيق وأسرعا إلى السّقيفةِ، وأكدا أحقيَّة المهاجرين في الخلافة كما كان يعتقدان.

دار جدال بين أبي بكر وعمر من جهة، والأنصار من جهة أخرى؛ فاقترح الأنصار أن يكون من المهاجرين أمير، ومن الأنصار أمير، فاختلف معهم عمر بن الخطاب في هذا الأمر، ورشح أبا بكر للخلافة، وانتهى الأمر باختيار صاحب رسول الله أبي بكر الصدِّيق خليفة للمسلمين، وتمت مبايعته وفقًا لترشيح صاحب رسول الله عمر بن الخطاب.

ومن هنا أقول:

لا يمكن أن يكون لرسول الله خليفة، ولكنَّ العرب المسلمين في ذلك الوقت اتخذوا عنوان الخلافة لإدارة شئونهم المدنيَّة، ولا اعتراض على مسمَّى الخليفة، ولكنَّ الاعتراض على إلصاق الخلافة بخلافة رسول الله؛ ذلك لأنَّ الرَّسُول لا يخلفه إلَّا رسولٌ من عند الله، وليس من عند العباد.

ومع أنَّ الاختلاف بين النَّاس من نِعم الله التي بها تتنوَّع أساليب الحياة، ففي المقابل الخلاف بين بني الإنسان نقمة؛ به تُقطع علاقات المحبَّة والمودَّة، كما قُطعت العلاقات بين الذين يؤمنون بربٍّ واحد، ونبيّ واحد، كما هو الحال بين طائفة أهل الشيعة، وطائفة أهل السنّة؛ فطائفة الشيعة كانت ترى أنَّ آل بيته أولى النَّاس بالخلافة، وأولى آل بيته عمّه العبّاس، وابن عمه علي، وعلي أولى من العبّاس؛ لأنَّه أسبق إلى الإسلام، كما أنَّ له نسلًا من ظهر الرّسول، ثمّ إنَّ العبّاس نفسه لم ينازع عليًّا في أولويَّته للخلافة.

وعليه: أقول: لا صراع على النبوَّة؛ لأنَّ أمرها لا يكون إلَّا من عند الله، مع العلم أنَّ هناك من ادَّعاها وهمًا، ولكن الفرق كبير بين الحقيقة، والادعاء؛ وفي المقابل كان الصراع على أشُدِّه بين النَّاس على من يحكم من.

وهكذا في كلِّ مرحلة من مراحل الدَّولة الإسلاميَّة، الخلافات تتجدّد؛ والخلفاء يُقتلون؛ فقُتل عمر، ومن بعده قُتل عثمان، ثمّ قُتل علي. وقد ظهر بأسباب الخلاف المرتدّون في زمن أبي بكر، والخوارج الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب عندما قَبِل التحكيم في موقعة صفِّين؛ ذلك لأنَّ الخوارج رأوا أنَّ عليًّا قد أخطأ بقبوله التحكيم؛ فقالوا جملتهم الشهيرة: (لا حكم إلّا لله).

ومن بين أهم المعارك الخلافيَّة موقعة الجمل التي وقعت في البصرة عام 36هـ بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والجيش الذي يقوده الصحابيَّان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام إضافة إلى أم المؤمنين عائشة، التي قيل: إنَّها ذهبت مع جيش المدينة في هودج على ظهر جمل وسمّيت المعركة بالجمل؛ نسبة إلى الجمل الذي عليه هودج أمّنا عائشة رضي الله عنها.

فبعد حدوث الفتنة ومقتل الخليفة عثمان بن عفان عام 35هـ، بَايَعَ كبار الصحابة الإمام علي بن أبي طالب لخلافة المسلمين، وانتقل إلى الكوفة ونقل عاصمة الخلافة الإسلاميَّة إلى هناك، وبعدها انتظر بعض الصحابة أن يقتصّ الإمام من قتلة عثمان، لكنَّه لم يأخذ بهذا الأمر.

ومن هنا، كان الخلاف بين علي ومعاوية حتى بلوغ حالة الاقتتال بين صحابة رسول الله؛ فكانت معركة صفّين في محرّم سنة 37هـ؛ حيث أراد الخليفة علي أن يعزل معاوية من على الشَّام؛ فخرج إليه بجيشه، ودار الاقتتال عند صفّين، وعندما شعر جيش معاوية أنَّه على مقربة من الهزيمة، طلبوا التحكيم مع علي وجيشه: (أهل العراق) فرفعوا شعار: (كتاب الله بيننا وبينكم) إنَّه شعار أهل الشَّام تحت رئاسة معاوية.

ومع أنَّ الطرفين قد اتفقا على وقف الاقتتال والقبول بالتحكيم، فإنَّ الرّفض كان على أشدّه من قبل طائفة من جيش علي بن أبي طالب، ومع ذلك، تمّ الاتفاق وخُتم بختم علي بن أبي طالب على أعلى صحيفة التحكيم، وخُتم بختم معاوية بن أبي سفيان على أسفل الصحيفة.

ومع أنَّه الاتفاق المختوم، فإنَّ الرَّافضين من أهل العراق بقوا على رفضهم، بل زادوا على رفضهم الخروج عن طاعة علي، ورفعوا صوتهم بقولهم: (لا حكم إلّا لله) وطلبوا من الخليفة علي نقض العهد، ولكنّه رفض.

وكان أبو موسى الأشعري مفاوضًا وممثلًا لعلي وجيشه، وكان عمرو بن العاصّ مفاوضًا وممثلًا لمعاوية وجيشه؛ فقام الأشعري بخطبته قائلًا: "أيّها النَّاس إنَّا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح، ولم الشعث، وحقن الدِّماء، وجمع الألفة خلعنا عليًّا ومعاوية، وقد خلعت عليًّا كما خلعت عمامتي هذه" وخلع عمامته[48].

وقام عمرو، وقال: (أيّها النَّاس إنَّ أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع عليًّا وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به، ألا وإني خلعت عليًّا وأثبِّت معاوية عليَّ وعليكم).

فقال الأشعري: كذب عمرو، ولم نستخلف معاوية، ولكنَّا خلعنا معاوية وعليًّا! فقال عمرو: بل كذب عبد الله بن قيس، قد خلع عليًّا، ولم أخلع معاوية؛ ولذا فنحن بعد هذه الحدَّةِ في الخلاف بين من صاحب رسول الله فلا يبقى لنا وللأسف الشديد شيءٌ نلاحظه سوى: عندما يكون الخلاف على الدّين أوجد الله لنا حُجّة نقولها، مصداقًا لقوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}[49]، وقوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[50]. ولكن ماذا نقول

[48] سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ج 3، ص 7.

[49] البقرة: 256.

[50] الكافرون: 6.

عندما يصبح الخلاف على ممارسي السّلطة أعظم من الخلاف على اتباع أمر الله تعالى؟

ووفقًا لصحيفة التحكيم عاد علي ومن معه من جيشه إلى الكوفة، وتحرّك معاوية وجيشه إلى الشَّام.

ولأنَّ الخلاف يشتدُّ مع شدّةِ الصدام؛ فكان على أشدّه بين علي بن أبي طالب، والذين انشقوا وخرجوا عنه، وكان أكثر شدّة عندما اجتمع الخوارج في النهروان سنة 38هـ، فقاتلهم علي، وقتل منهم من قتل، ثم اختلفوا وتخالفوا؛ فانشقوا بعد ذلك إلى 20 فرقة.

ثم قُتل علي بن أبي طالب على أيدي الخوارج في 16 رمضان 40هـ، وهو يُصلِّي الفجر في المسجد.

وبعد عصر الخلفاء الراشدين: (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي) أخذت الخلافة لونًا آخر، كان التوريث فيها هو العنوان، بدلًا من تلك التجربة التي سبقت؛ ولهذا كان الاقتتال على أشدِّه بين الأخوة والأعمام، وبين الأقارب والأباعد؛ وبهذا انتهى عصر الخلافة دينًا، وهلَّ على المجتمع العربي والإسلامي عصر الخلافة وهمًا.

الخِلافُ على وهم الخلافة:

في زمن الخلافة لم يكن هناك فصل بين صلاحيَّات من يتولَّى رعاية الإسلام: (الدين) ومن يتولَّى إدارة شئون الدولة: (الرَّعيَّة)، أي: إنَّ نظام الخلافة كان راعيًا للدّين وكأنَّه لا فرق بينه والدَّولة.

أمَّا بعد زمن الخلفاء: (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية)؛ فقد كان الصِّراعُ داخل الأمَّة – على الخلافة – صراعُ وراثة دمويَّة، وفي المقابل كان الصِّراع مع الخارج فتح دِولٍ وأمصارٍ.

ولأنَّ الخلاف يفرِّق ولا يجمع، كان الخلاف بين الذين يؤمنون بربٍّ واحد، ورسولٍ واحد، ولا يفرِّقون بين أحد من رُسله؛ فكان المرتدّون بأسباب حداثة الإسلام، وضعف الإيمان، والاختلاف على من يأتي من بعد الرّسول بأوهام الخلافة؛ فكان الاقتتال بين هذا وذاك قتالًا بلا شفقة ولا رحمة؛ كلّ ذلك كان بأسباب عدم قبول الاختلاف: (عدم قبول الرّأي الآخر). إنَّه الاقتتال من أجل أوهام السُّلطة، وليس الاقتتال من أجل الهداية، ونشر الإسلام، والعدالة، وإحقاق الحقِّ، ومن ثمَّ أصبح الوهم سيّدًا في ميادين الصّراع على السُّلطة.

ولأنَّه الخلاف المؤدّي إلى الاقتتال بوهم الاستلاء على السُّلطة؛ كان الخلاف بين أهل الدّين الواحد لا يختلف عن الخلاف مع من هم على دين آخر.

وعليه: فإنَّ الاختلاف والخلاف عبر الزَّمن متلازمان مترافقان في أيِّ مكان، وفي كلِّ دولة؛ وقد بدء الخلاف بعد وفاة رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام، واشتد في عهد الدَّولة الأمويَّة (662م – 750م)، ثم من بعدها الدَّولة العباسيَّة.

أمَّا في الدَّولة الفاطميَّة فكان الاختلاف منذ البدء مع مؤسّسها عبيد الله المهدي (909 – 934م)؛ وذلك بعد قضائه على دولة الأغالبة،

واتخاذه مدينة المهديَّة بتونس عاصمة له، التي من بعدها زحف الفاطميّون وحلفاؤهم إلى المشرق وأسّسوا القاهرة مع رابع خلفاء العبيديين المعز لدين الفاطمي، وبأسباب الخلاف لم يتبقَّ منهم في الجزائر والمغرب وتونس إلّا القليل.

وتوسعت الدَّولة الفاطميَّة على حساب الخلافة العباسيَّة، واستولى الفاطميّون على شرق الجزائر ثمَّ تونس ثمَّ ليبيا ومن بعدها صقلية التي بقيت في حكمهم حتى 1061م.

ولأنَّه الخلاف على السُّلطة والحكم، دخل الفاطميّون في صراع مع العباسيين للسيطرة على الشَّام، كما أنَّهم تنازعوا السيطرة على شمال إفريقيا مع أمويي الأندلس، وكذلك تمكَّنوا من السيطرة على الحجاز والحرمين ما بين 965 – 1070م، ولكن صلاح الدين الأيوبي انقلب على الدَّولة الشيعيَّة، وتولَّى الوزارة منذ 1169م وأعاد الخلافة العباسيّة سنة 1171م.

وفي أثناء حكم الدّولة العباسية تكوَّنت فرق دينيّة متعدِّدة عارضت الحكم العبّاسي، وكان محور الخلاف بين هذه الفرق والحكّام العبّاسيين: (أوهام الخلافة)، أو إمامة المسلمين، وكان لكلّ جماعة منهم خصوصيَّاتها السياسيَّة في إقامة الحكم الذي تريده ولو كان وهمًا.

وجعلت هذه الفرق النَّاس على خلافات بين طوائف وتحزُّبات، وأصبحت المجتمعات العباسيَّة ميادين تتصارع فيها الآراء وتتناقض، فوسَّع ذلك من الخلاف السياسي بين مواطني الدَّولة حتى تصدَّعت وحدتها، ومن العوامل الداخليَّة التي شجّعت على انتشار الحركات الانفصاليَّة، اتساع رقعة

الدَّولة العباسيَّة، وبُعد المسافة بين أجزاء الدَّولة، وصعوبة المواصلات في ذلك الزّمن، هذه جعلت الولاة في المدن النائية يتجاوزون سلطاتهم، ويستقلّون بشئون ولاياتهم، دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصاليَّة، والتي لن تصل إلّا بعد فوات الأوان، ومن أبرز الحركات الانفصاليَّة عن الدَّولة العباسيَّة: حركة الأدارسة، وحركة الأغالبة، والحركة الفاطميّة.

انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة 1258م على يد هولاكو خان التتري، الذي قتل من قتل إلى جانب قتله الخليفة وأبناءه؛ فانتقل من بقي على قيد الحياة من بني العبّاس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد؛ حيث أقاموا الخلافة مجدَّدًا في سنة 1261م.

واستمرت الخلافة العباسيَّة حتى سنة 1519م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانيَّة بلاد الشام ومصر، وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان: (سليم الأوَّل) فأصبح العثمانيّون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينيّة.

هكذا هي نتائج الخلاف وأوهام السُّلطة، بداية استيلاء على السُّلطة، ثمّ صراعات وفتن بين الفرق والطوائف التي حياتها لهوٍ، وفساد، وكيد، ومكر، إلى أن تأتي النّهاية سقوطًا وكسرَ وهمٍ.

أوهام الأنا العسكريَّة:

مع أنَّ مفهوم الأنا مفهومًا مفردًا فإنَّه عندما يصبح صفة لمهنة من المهن، أو لنقابة من النقابات، أو جماعة من الجماعات، أو مؤسّسة من

المؤسَّسات كما هو حال المؤسسة العسكريّة يصبح مظلة جامعة لرؤية واحدة أو مصلحة واحدة مما يجعل رئيس الحزب أو آمر الجيش وكأنَّه الحزب كله أو الجيش كله؛ ولذا يصبح الأنا مظلة به يستظل كل المنتمين للمؤسسة العسكرية بعد أنْ تسيطر المؤسَّسة العسكرية على مقاليد الحكم في الدَّولة، ومن ثمَّ يُصبح مصير الدّولة سياسةً واقتصادًا واجتماعًا بأيدي من قاموا بالانقلاب على السُّلطة المدنيَّة؛ ومن ثمَّ يحتكرون السُّلطة، ولا تداول سلمي لها في عهدهم.

وفي عهد الدَّولة العسكريَّة تُفعَّل الأحكام العسكريَّة على المدنيين بحيويَّة التوجيهات العليا للقيادة، مما يجعل القضاء المدني مجمَّدًا فلا يتدخل في القضايا السَّاخنة والمصيريَّة.

ومع أنَّ كلّ الانقلابات العسكريَّة التي حدثت عبر التَّاريخ، وأينما حدثت تنقلب على السُّلطة باسم الشَّعب والوطن؛ فإنَّها في حقيقة الأمر لا تولي للشَّعب ولا للوطن اهتمامًا، بل لا يرى رأس الانقلاب أو رؤوسه عدوًّا لهم ولحكمهم إلَّا الشَّعب، الذي اتخذ المنقلبون اسمه وهمًا عنوانًا لثورتهم (ثورة الشَّعب) في الوقت الذي هم فيه منقلبون على إرادته.

ولذلك فهم يرفعون شعارات برَّاقة وجذَّابة في بدايات استلائهم على السُّلطة، بها يستطيعون جذب أنظار الواهمين من الشَّعب، وكأنَّهم المنقذ له مما يعاني من تأزُّمات سياسيَّة واقتصاديَّة واجتماعيَّة.

وبعد أنْ يقفوا على أقدامهم أمنًا وسيطرةً؛ يلتفتون إلى بعضهم بعضًا (من ينفرد بالأمر، ويصدر الأوامر دون غيره)، فتلدُ الظّنون بينهم ظنونًا،

ويلتفت كلٌّ منهم إلى أطرافه إنْ لم يباغته أحد الأطراف فيجعله على رأس التآمر ضحيَّة، وهكذا تبدأ الانقلابات بأفرادٍ وكأنَّهم كلمة واحدة وعُصبة، وفي النهاية تنتهي الانقلابات ولا ترسو إلَّا على واحدٍ (أنا ومن بعدي الطوفان)، ومن ثمَّ لا يحصد الشَّعب من ورائه إلَّا الأوهام.

وبعد أن يستقر الأمر على واحد تصبح كل مقاليد الدَّولة بيده، وهو الآمر والنَّاهي عسكريًّا ومدنيًّا، ومن ثمَّ فمن يخالف الأمر فكتائب الأنياب (الكلاب المدرَّبة على شمّ الأثر) تلاحقه بمخالبها ديمقراطيًّا من أجل أن تمارس معه حقوقه، وتؤدِّي معه واجباتها.

ومع ذلك فإنَّ عِلل انقلاب المؤسّسة العسكريَّة واحدة، وأوهامها واحدة (حكمٌ عسكري بدلًا من حكمٍ مدني)؛ ولهذا ينقلبون على السُّلطة المدنيَّة بوهمِ السَّيطرة العسكريَّة، وقهر إرادة الشَّعب، ومع أنَّهم مُتَخفُّون بلباس الشَّعب، ويرفعون الشِّعارات من أجله، فإنَّهم لا يثقون فيه، وكيف يثقون في الشَّعب وهم الذين انقلبوا على دولته المدنيَّة، وإرادته الحرّة؟!

ولذا فالانقلابات العسكريّة موهومة بالاستلاء على السُّلطة وتولِّي زمام الأمر في الدَّولة، فبها تلغى الدّساتير، ويوقف العمل بالقوانين المعمول بها، ويطلق العنان للتوجيهات الآمر والنَّاهية من قِبل رأس الانقلاب أو مدّعي الثَّورة.

وبهذه الأفعال المملوءة أوهامًا لا يمكن لمن قام بانقلابٍ أو ثورةٍ أن يكون يومًا من أيَّام حُكمه آمنًا، لأنَّه يعلم أنَّ ما أُخذ بالقوّة كرهًا سيكون من ورائه كارهون، كما أنَّه يعلم أنَّ خيانة العهود ممكنة؛ فهي بالتمام لا تزيد

عن الخيانة التي خان بها ذلك القسم الذي أَقسم به عندما التحق بالعسكريَّة أن يكون مخلصًا لرأس الدَّولة والوطن.

ولهذا فَمعظم الذين انقلبوا على أنظمة الدِّول أو ثاروا عليها؛ قد تمَّ الانقلاب عليهم بذات المنهج والوسيلة، ويحضرني في هذا الشأن الحكمة التي قالها (جورج دانتون) بعد إسقاطه ورفاقه الملكية في فرنسا 1789م فيقول دانتون: "الثورة يخطط لها المفكّرون، ويقوم بها الشّجعان، ويجني ثمارها الانتهازيون"[51]، وقبيل إعدامه بانقلاب عليه من قبل رفاقه عام 1794م قال: (إنَّ الثورة تأكل أبناءها)، وأُعدم بأمر: (أوبسير) وهو أحد أقرب الرِّفاق المقربين منه، فقال دانتون لرفيقه الذي كان وراء إعدامه، وهو أوبسير: (سوف يأتي عليك الدّور)، وفعلًا جاء الدّور على أوبسير وأعدم بعده بعد أربعة أشهر فقط[52].

وهكذا تشابهت أحوال الثورة المصريَّة عام 1952م، التي انقلبت على الملكيّة وعيّنت رأس الثورة اللواء محمد نجيب رأسًا موجّهًا للدولة؛ غير أنَّ صراعًا على السُّلطة نشأ بينه وجمال عبد النَّاصر إلى أن حُسم الأمر لصالح الرَّئيس جمال عبد النَّاصر، الذي جعل رفيقه رأس الثورة اللواء محمَّد نجيب تحت الإقامة الجبرية في قصر زينب الوكيل حرم مصطفى النحَّاس بالقاهرة حتى وفاته. وتولى الرَّئيس جمال عبد الناصر حكم مصر من (1954م حتى

[51] أحمد عصام الدين: عن الثورة الفرنسية، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1971م ص 173.

[52] جلال السيد، الثورة الفرنسية والفكر العربي، القاهرة: مجلة الهلال المصرية، عدد سبتمبر 1989م

وفاته عام 1970م؛ وكان توليه هذا تحت عنوان: (شرعيَّة الثَّورة)، التي أسقطت الدولة المدنية والعمل بدستور 1923م[53].

وهكذا كانت الانقلابات في اثيوبيا على يد مجموعة من الضبَّاط، وعلى رأسهم (منغيستو هيلا ميريام) الذي انقلب على الحكم مع مجموعة من الضبَّاط واستولى على السُّلطة، ثم سرعان ما تخلّص من 40 ضابطًا كانوا على علاقة به، ثم من بعدهم أعدم رفيقه المقرَّب (أتنافو أباته) على حين غرّة 1977م؛ خوفًا من أن يفكّر يومًا بعمليّة انقلابيَّة، ومع ذلك تمَّ الانقلاب على (منغيستو) كما قلنا بنفس المنهج والوسيلة؛ فقتل 18 ضابطًا من الضباط الذين ناصروه، أمَّا هو فقد فرَّ لاجئًا إلى (زمبابوي) وكأنّه لم يكن شيئًا مذكورًا[54].

وهكذا هي أحوال الانقلابات العسكريَّة (المنهج واحدٌ والأسلوب لم يتغيَّر) فما جرى من انقلابات واقتتالات من أجل الاستلاء على السُّلطة في العراق، وسوريا، لا يختلف عمَّا جرى في ليبيا، واليمن، وفي معظم دول أمريكا الجنوبيّة وأفريقيَّة.

فتلك الانقلابات والثورات بعدما تسيطر بالقوّة على الدولة (شعبًا ومؤسّسات) تتظاهر بأنَّها ديمقراطيّة، وتدّعي ذلك بتشكيلها حكومات شبه مدنيَّة (وزراء مدنيون مع عسكريين)، ومن فوقهم الآمر العسكري رئيسًا للدَّولة، وهذا يعني: أنَّه لا مرجعيَّة في الدَّولة إلَّا الآمر العسكري وحده.

---

[53] فتحي رضوان، أسرار ثورة 23 يوليو 1952م، القاهرة: (مجلة روز اليوسف)، يوليو 1975.

[54] الرأي، منغيستو هيلا ميريام، 29- 5- 2008م

وعلى الرَّغم من ذلك وبعد أن يستسلم الشَّعب للأمر الواقع ويرضخ؛ يُفسح له المجال نسبيًّا بخوض انتخابات تسمح للقائد العسكري بالتدخُّل والتوجيه وفقًا لما يراه ضرورة؛ كونه المتقدّم الوحيد للانتخابات الرِّئاسيَّة.

ومع أنَّها انتخابات شكليَّة وفوز شكلي، يتم التغنّي به وكأنَّه الأرفع ديمقراطيًّا في جميع بقاع العالم؛ فيطلب من العموم الواهم أن يتظاهر في الشَّوارع ليحتفل بالفوز الذي تزيدُ نسبتهُ عن 99% من عموم الأصوات.

ومثل هذه الانتخابات لا تزيد عن كونها رسائل مشفَّرة لكلٍّ من:

– العسكريين الذين قد يكون من بينهم رؤوس تعتقد أنَّها ما زالت صاحبة رأي، أو ينبغي أن يكون لها رأي في الدَّولة العسكريَّة.

– المدنيّين الذين لم يرضوا ولم يقبلوا بحكم المؤسَّسة العسكريَّة.

– العالم الخارجي المتحضّر الذي لم يكن أساسًا راضٍ عن الانقلابات العسكريَّة.

ومع أنَّ الجميع يعرف أنَّ ما حدث لا يزيد عن كونه تمثيليّة من نسيج الوهم فإنَّه بأسباب المصلحة تتم المباركات باستثناء فئتين:

– الواعين: الذين يقادون بعقولهم لا بأوهام الغير، وهؤلاء هم القلة.

– الواهمين: الذين يحلمون بذات الوهم الذي حَلِمَ به مَن انفرد بالسُّلطة في البلاد.

وعليه: سيكون واهمًا من تُغرِّر به تلك المسيرات الشّعبيّة التي يتم التظاهر بها في الدِّول ذات الأنظمة غير الديمقراطيَّة، والتي لا تخرج إلَّا

بالأوامر، ولا تنتهي إلَّا بها، وكذلك سيكون واهمًا من يصدّق أنَّ تلك المبايعات التي تبايع القبائل بها من استولى على السُّلطة وأستفرد بها بأنَّها مبايعات مخلصة وحاسمة للأمر، وأيضًا سيكون واهمًا من يثق في تقارير التنمية والتطوُّر وحقوق الإنسان، التي تصدرها الأنظمة الخاضعة للرأي الواحد الذي في معظمه نتاج انقلابات عسكريّة، وليس بانتخابات حرة ونزيهة.

ومن أجل إطالة عمر الديمقراطيَّات المزيّفة ورؤوسها، وبخاصّة عندما تكثر مفاسد رأس الدَّولة، وأبنائه وأقاربه، وأتباعه، يختلق رأس الدَّولة المشاكل مع الغير، أو حتى المعارك، التي بها وهمًا يكسب تأييد الشّعب، وتجديد المبايعة له من خلال وهمه بقدوم مخاوف وعدوان من الخارج يتطلَّب من كافّة الشَّعب التدريب على حمل السّلاح من أجل الوطن، ومن أجل الوطن أيضًا ينبغي أن يتبرَّع المواطنون بمرتّب شهري من مرتّباتهم، ومن أجل الوطن ارتدى الرّئيس بزّته العسكريَّة وقبل بالاستشهاد دونه، وهكذا تتعدّد الأوهامُ والواهِم واحد.

ولأنَّه لا مشروع ولا مصداقيَّة في إدارة الدّولة العسكريَّة، فلا بدّ لِصبر الشُّعوب وأن ينفذ، مما يجعل الخائف من الموت مطالبًا به؛ وذلك من أجل إعادة إرادة قُهرت، وسيادة سُلبت.

ومن ثمَّ لن يعود الوطنُ كما يراه البعض صنمًا مثل ذلك الصَّنمُ في العصر الجاهلي، الذي كان يتحدّثُ باسمه كاهنٌ لعُبَّاده: (كون الصَّنم لا ينطق)، فكان الكاهنُ كلَّما رغب مطلبًا تحدَّث لعبَّاده باسم الصَّنم، وفي كلِّ مرَّةٍ يقول الكاهُنُ: إنَّ الصَّنم يطلب كذا وكذا، فيلبي العُبَّاد مطلبه؛ بغاية

نيلهم رضا الإله (الصَّنم)، وهنا بالطّبع لن يعود المطلوب على الصَّنم في شيء، بل يعود على الكاهن، ويظل العبَّاد ينتظرون رضا المعبود من دون الله، حتى يبلغهم الكاهن برضاه، أو يبلغهم بمزيدٍ من المطالب.

هكذا بعض السَّاسة في أوطانهم يتحدَّثون، ويطلبون من الشَّعب تقديم المزيد من التضحيات؛ من أجل الوطن، وهنا إن لم يكن حال الوطن مِلكٌ لجميع مواطنيه، فسيكون حاله كحال ذلك الصَّنم؛ فكلاهما لا ينطق: (الصَّنمُ، والوطنُ)؛ ما يجعل الفارق منعدمًا بين النَّاطق باسم الصَّنم، والنَّاطق باسم الوطن.

ولهذا فعندما يطلب السَّاسة من المواطنين أن يُضحَّوا، ويقدِّموا المزيد من التضحيات؛ من أجل الوطن، فالتضحية هنا في حقيقة الأمر لا تزيد عن كونها تضحية من أجل صنمٍ.

وهكذا بالتمام عندما يقول رئيس الحزب في الأنظمة غير الديمقراطيَّة (أيِّ حزبٍ) لأعضاء حزبه: عليكم أن تقدِّموا المزيد من التضحيات من أجل الحزب فهو في حقيقة أمره يريدهم أنْ يضحوا من أجله، وأجل بقائه كاهنًا لصنمٍ لا ينطق (الحزب).

ولذا علينا أن نؤكِّد: أنَّ الشَّعب هو من يمتلك الوطن، وليس الوطن من يمتلك الشَّعب، وبذلك تصبح التَّضحيات واجبةَ الأداء، والموتُ من أجله يخلق الحياة، ومع ذلك علينا أن نميِّز بين: أيُّهما أولى: الموتُ من أجل الشَّعب؟ أم الموتُ من أجل الوطن؟

لا شكَّ أن خيار الإجابة هنا أصبح بيِّنًا، ولكن عندما يكون السُّؤال:

أيَّهما أولى: التضحية من أجل الصَّنم؟ أم التضحية من أجل الكاهن؟

إذا قلت: لا إجابة؛ فأنت قد أجبت، وإن قلت إجابةً فستجد نفسك بين فكي كاهن الوطن وكتائبه ذات الأنياب، وحينها ليس لك بدٌّ إلَّا الاعتراف بأنَّك لا تزيد عن كونك عاملًا في مزرعة الكاهن، الذي له حريَّة التصرُّف في مزرعته بيعًا، واستغلالًا، أو أن يتركها أرضًا بورًا، وكلُّ هذا؛ كي لا تحلم بأنَّك مواطنٌ حرٌّ في وطنك، وإن صدَّقت نفسك في غير ذلك فستكتشف يومًا أنَّك أوَّل من كَذَبَ على نفسهِ.

ولهذا فالكاهن الذي يُنصِّب نفسه كاهنًا على الوطن لن يكون الوطن في زمانه إلَّا صنمًا، ومن ثمَّ فلن تجد التضحيات مكانًا لها لتحلَّ فيه.

كاسرات أوهام الأنا

الفِكرةُ حلًّا:

الفكرة الحلّ هي التي تستمدّ من الموضوع أو المشكل المحيّر للعقول بحثًا علميًّا وهي التي تُنتِج تدبُّرًا ولا شيء غير العقل ينتجها، ولكنّها لا تنتج إلّا باستفزازٍ ذهني يثيرها بمشاهدةٍ تولِّدُ في العقلِ حيرةً؛ وبذلك تعدُّ من إعمال العقل الذي يستمدّ الشيء المجرّد من الشيء المشاهد أو الملاحظ، كما هو استمداد القوانين من المعطيات الكونيَّة والطّبيعيَّة، ولأنّها مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولَّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول وبين الحقيقة والوهم.

ومع أنَّ الفكرة الحلّ تخلّص من الحيرة والوهم، فإنّها لا تكون ارتقاء إلّا من بعدهما؛ فالحيرة بالنّسبة إلى الفكرة تعدّ مخاض ولادة، والوهم لا يكون إلَّا عتمة حائلة بين العقل والاستنارة، وولادة الفكرة من دون حيرة تسبقها، هي: ولادة قسرية؛ فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتولد مشوّهة، ومن هنا ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف للمأمول ارتقاءً.

ومع أنَّ هذا الأمر يعدّ سالبًا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاءً، فإنّه الأمر المحيّر والمستفز لعقول الآخرين إيجابًا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم وتكسر الوهم.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكريّة مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، فإنَّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء؛ ولذلك فالبحوث العلميّة ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّز على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع لكسر الوهم.

إذن: فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يقتنص له حلّ، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء استحالة، أو إعجازًا، أو ممكنًا حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له حلًّا وتكسر الوهم.

وهذا لا يعني: أنْ تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها حلّ، ولكن هذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدي المقلق بما يُقلقه، حتى يصبح القلق والوهم بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غاية الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة في تحدٍّ؛ فلا إمكانيّة لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة القادرة على إبطال الوهم.

ولسائل أن يسأل:

هل الفكرة والحيرة ولدتا مع مولد آدم، أم إنّهما اللاحقتان عليه؟

بالنّسبة إلى آدم لم يكن مولودًا، بل مخلوقًا خلقًا مباشرًا بلا أب ولا أم؛ ولهذا ما وجد عليه فهو المخلوق معه خلقًا، أمَّا بنوه فكلّ شيء فيهم خُلق سلالة من نطفة؛ فآدم خُلق في أحسن تقويم، وهذا يدلّ على أنّه معدّ

للحياة لحظة خَلقه، أمّا بنوه من بعده؛ فحالهم حال الولادة والنّمو والتعلّم والتعليم، أي: حالهم حال من لا يستطيع أن يفكّر لحظة الولادة، ولكن في دائرة الممكن يصل مبلغه تعلّمًا وتعليمًا[55].

فآدم كانت علاقته بالخالق والمخلوقات من حوله علاقة فطرة مباشرة، ولكن المحيّر بالنّسبة إلى آدم عليه السّلام هو حياته في كونين مختلفين على التّمام؛ كون الارتقاء (الجنّة) وكون الدّنيا (الأرض)، فهو بعد أن كسب الجولة خَلقًا، خسرها خُلقًا؛ وذلك بعد أن أُهبط به بسبب المعصية التي ارتكبها، ومن هنا، بدأ يفكّر، كيف يمكنه الارتقاء ثانية من الحياة الدّنيا إلى تلك الحياة العليا؟ في ذلك اليوم وُلدت الحيرة، أي: وُلدت الحيرة إنذارًا بولادة الفكرة؛ فكان الاستغفار والتوبة نتيجة الفكرة التي أخرجت آدم من حيرته إلى ما يُمكّنه من بلوغ الارتقاء إلى تلك الجنّة التي أهبط منها. أمَّا الحيرة والوهم فهما اللذان ألمَّ بابنه في لحظة قتله أخيه، الذي وقف قاصرًا عن المعرفة، حيث لا فكرة له عمّا جرى بيديه؛ فبعث الله غرابًا ليريه سلوكًا وعملًا يمكّنه من المعرفة بلا فكرة من عنده.

ولهذا فالفكرة ينتجها العقل، وتأخذها العقول، وتوظفها فيما يمكن أن يوظّف ويفيد من أجل كسر الوهم وبلوغ الحلّ.

وعليه:

لقد استلهم آدم الفكرة من أمورٍ:

---

[55] عقيل حسين عقيل، من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي، القاهرة: 2017، ص 22.

الأمر الأوّل: من طبيعة الفطرة: التي خُلق عليها واصطبغ بها وجوده في أحسن تقويم، ولكن لأنَّه خُلق على التسيير والتخيير؛ فكان للتسيير الطبيعة الخَلقية، وكان للتخيير فسحة الإرادة التي مكّنت آدم من الأكل من تلك الشّجرة المنهي الأكل منها؛ فخالف أمر النّهي وهمًا ومعصية؛ بأسباب قصور معرفته أمام كمال الخالق وإحاطته؛ ذلك لأنّ آدم وبنيه لا يعلمون إلّا ما يُعلّم، ومن هنا كان الإنباء لآدم مصدر المعرفة الممكِّن من كسر الوهم.

ولهذا فالفطرة التي فُطرت المخلوقات عليها هي التي جعلت لكلّ زوجين خصوصيَّة، دفعتهما تجاه بعضهما، وهي ذاتها التي حالت بينهما وبين الأزواج الأخرى إلّا بما يفيد، فكانت حياة الفطرة ميسّرة لكلّ الأنواع تيسير جاذبيَّة نوعيّة، وغريزيَّة؛ ومع ذلك ظلّ الإنسان مهيَّأ لما هو أعظم؛ فكان عقله مقلِّدًا لما يراه في دائرة الممكن تخييرًا[56].

الأمر الثَّاني، التقليد: وهو الذي لا يكون إلّا عن عقلٍ، ولكن القصور على التقليد لا يمكّن من توليد الفكرة؛ ذلك لأنّه لم يمرّ بزمن الحيرة الممكّن من التعمّق في التفكير، حتى كشف اللثام عن الحقيقة في دائرة الممكن الكاشفة للوهم والكاسرة لأسبابه؛ فآدم تقليدًا قلّد إبليس الذي أوهمه بما لم يكن حقيقة مرضية؛ فأكل من المنهي عنه، وكذلك ابنه قلّد الغراب؛ فعرف كيف يواري سوءة أخيه، وهكذا هي الحياة تطوّرًا من الخَلق إلى الفطرة، إلى التقليد، إلى توليد الفكرة، التي توليدها لا ينقطع فكرة من بعد فكرة، ولكن يظل التقليد قاصرًا، والفكرة في حيّز العقل مهما عظمت؛ فهي لا تخرج عن

[56] المصدر السابق 24.

دائرة الممكن؛ ولهذا بعث الله الأنبياء والرّسل عليهم السّلام بالنبأ العظيم؛ لإخراج النَّاس من الحيرة والوهم إلى نُور العلم والمعرفة والدراية.

الأمر الثَّالث، النبأ العظيم: فمع أنَّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه لم يُخلق على الكمال؛ ولهذا فتفكيره لا يمكن أن يخرج عن حيّز دائرة الممكن؛ فكان الإنباء بما يجب من الخالق إلى المخلوق يُمكّن المخلوق من الوقوف على المعجِز، ومعرفة المستحيل مستحيلًا؛ فأنزلت الأحكام المنظمّة للعلاقات بأسباب الاختلاف والخلاف الذي حدث على الأرض الدّنيا معصيةً واقتتالًا؛ ليفتح آفاق التفكير فيما يجب أن يؤخذ، وما يجب أن يُجتنب، وما يجب أن يُنتهى عنه؛ كونه المنقذ من الوقوع في الوهم والاتصاف به.

الأمر الرَّابع: **الفكرة**: تعدّ الفكرة هي الأمر الرّابع الممكّن من المعرفة والبحث في دائرة الممكن، وهذا لا يعني: أنَّ الإنسان قبل ذلك لا يمتلك الفكرة، بل قبل ذلك كانت حياة الفطرة هي السّائدة، ثمّ حياة التقليد، ثمّ من بعدها حياة الإنباء الذي جاء تنزيلًا على الأنبياء والرُّسُل عليهم السّلام، بهدف تقييم الأخطاء، وتقويم السّلوك والعمل، وكسر الأوهام وإن عظم أصحابه.

فالفكرة إنتاج العقل وإعماله، وهي بالنّسبة إلى من تولّدت في عقله مثل البذرة، أو النّواة التي يراها المفكّر مخزّنة في محفظة ذاكرته وكأنّها الشّجرة متكاملة، جذورًا وجذعًا وأغصانًا وأوراقًا وثمارًا؛ فهو يراها على هيئة الصّورة

قبل أن تتجسّد في الشّكل والصّورة، ومن هنا، يكون مولود الفكرة هو الإبداع الذي يُسهم في إضافة الجديد النّافع ويكسر الوهم.

ولهذا؛ فالفكرة في ذاتها مجرّدة؛ حيث لا هيئة لها إلّا في ذهن المفكّر الذي نضجت في عقله مثلما تنضج النّواة من تربتها شجرة متكاملة؛ ولذا فالهيئة تكون للصّورة التي أساسها فكرة، ومن ثمّ؛ فالفكرة ترتبط بالمشاهد والملاحظ مثلما ترتبط بالمجرّد، والفكرة متى ما تكون نتاج تذكّرٍ، يكون التفكّر هو المهيئ لاصطيادها، أمَّا التدبُّر فلا يكون إلّا نتاجها سلوكًا وعملًا بعد أن تمَّ التخلُّص من الوهم الذي أخر كثيرين من بني آدم وجعل الفتنة بينهم تتجذَّر وهمًا بعد وهم.

والفكرة وإن كانت مجرّدة في الذّهن، فإنَّها على أرض الواقع تتجسّد في المشاهد والملاحظ؛ سواء أكانت معرفة قيم وفضائل ونظم وقوانين، أم إنَّها معرفة ملموسة مادّيًّا، ومن هنا كانت هيئة الخلق سابقة على صورته مخلوقًا، وهيئة المصنوع سابقة على وجوده مصنوعًا.

ومن ثمّ فالفكرة متلازمة مع التكاثر تكاثرًا، فمع أنَّها لم تكن مخلوقة، فإنَّها تتخلّق في عقل الإنسان تدبّرًا من بعد تدبّر، وإنتاجًا من بعد إنتاج، فهي القوّة الموجدة لما لم يوجد من قَبل، وهي وإن لم تتطابق مع خلق الشيء من لا شيء، فإنَّها تتماثل معه من حيث إيجاد الشيء من الشيء نشوءًا، فالإنسان الذي خُلق نشوءًا زوجيًّا كان وجوده وفقًا لقانون الفطرة والتقليد، ولكنّه من بعد ذلك إنباءً استطاع أن يتبيّن مكامن الحقيقة، التي لفتته إلى

نفسه ومَن حوله، وإلى ما يمكن أن يوهمه ظلمًا، أو عمدًا؛ لغاية في نفس من أوهمه.

وكما أنَّ الحيرة يقظة عقليَّة تستوجب مواجهة القلق بما يُقلقه؛ فكذلك الصّعب يعدّ معطية مثيرة للعقل ومستفّزة لملكاته، التي تتحفّز إلى المواجهة معه متى ما اعترض طريقها، ومن هنا بدأت مواجهة العقل للصّعب تحدٍّ من ورائه تحدٍّ، وفي المقابل الصّعب يُقدِّم التنازل من بعد التنازل، والوهم يزاح وينكسر بقوّة التحدّي من أجل الأنفع والأفضل.

فالصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا خوف من مواجهة الصّعب الذي يلتحف بلحاف الوهم، بل الخوف من عدم حدوث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقليَّة معه كلّما حدثت عن تدبّر فكرة أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاءً؛ وستظل الفكرة عقليَّة إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشّكل أو الصّورة، أو الدّلالة.

ومع أنَّ العقل مكمن الفكرة، فإنّه أيضًا منبع الأمل، ومع أنّهما معًا من إعمال العقل وفي محفظته، فإنَّ الأمل يتعلّق بالغايات الخارجيّة التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرًا وإرادةً؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسئوليَّة، ومن لا يمتلكها، فإشارة (قف) لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك وراء كلّ غاية فكرة، ولكن أيّة فكرة؟

هل هي فكرة فكّ القيد؟ أم إنّها فكرة وضعه؟

أقول: القيد مولود الفكرة، فلو لم تكن الفكرة ما كان القيد، والإنسان عندما لا يستطيع ضبط نفسه عن إرادة يجد نفسه يفكّر والحيرة تملؤه حتى يجد قيدًا لضبطه، وبعد أن يُقيّد بما أوجده من قيد من قِبل الغير، يبدأ في البحث تفكرًا في كيفيّة فكّه وبكلّ ما يتيسّر له من حيلٍ.

ولذا فمن يريد أن يكون إنسانًا في أحسن تقويم فعليه أن يتمسّك بعقله الذي به يتميّز عن غيره، وإذا أراد الحرّيّة فعليه أن يقبل التنازل عن عقله؛ كي يستطيع في دائرة الممكن أن يفعل ما يشاء متى ما يريد، ولكنَّه نهاية سيعرف أنَّ للحرّية ثمنًا، وهكذا إذا أرد الاثنين معًا فعليه أن يقبل بحياة المساجين الأحرار التي يشار إليها بالقضيَّة:

(كل أ ليست أ).

فنحن بنو آدم لولا العقل وما نفكّر فيه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولا الوهم والموهوم به، ولا المحلّل والمحرّم، ولولا العقل والفكرة ما استعملنا كلمتي: (قفْ وسرْ)، ولا كلمتي: (لا، ونعم)، ومن ثمّ فإنْ لم يقيّد الإنسان نفسه عقلًا، سيجد نفسه مقيّدًا من قِبل الغير بفكرة القيد التي أنتجها عقله، ومع أنَّ السّجن هو السّجن؛ فإنَّه تدبّرًا إن وَضع الإنسان نفسه في قيد عقله؛ فهو على الأقل أصبح يمتلك الإرادة، ولكن إن وُضع القيد في يديه كرهًا؛ فهل يُمكن له أن يكون على شيءٍ من الإرادةِ؟

ومن ثمّ فإذا سلّمنا أنَّ العقل هو الذي يقيِّد نفسه، ألا نسلّم بأنَّه قادر على فكّ قيده عن نفسه ارتقاءً؟

لا شكّ أنَّه سيكون قادرًا إذا قبل التوقّف عند حدوده وكسر الوهم، ولا يتمدّد على حساب حدود الغير وهمًا، ولكن إن تمدّد وهمًا فسيجد نفسه سجين تلك الفكرة التي أنتجها قيدًا.

ولهذا فالإنسان الأوّل الذي خُلق على الزّوجيَّة، عاش حياة الفطرة جنّة إلى أن عصى ربّه فأُهبِط به والأرض أرضًا، فظلَّ من بعد الهبوط على أمل العودة إلى تلك الجنّة، وظلّ بنوه من بعده يسعون ويعملون كلّ ما من شأنه أن يرتقي بهم إلى المأمول غاية، فتولّد التفكير في عقولهم فكرة من بعدها فكرة؛ فأنتجوا الثّقافات، وبنوا الحضارات، ومع ذلك فهم يعلمون أنّهم كلّما أنتجوا فكرة واجهتهم صعاب تستوجب المزيد من إنتاج الفكرة؛ ولكن لأنَّهم قبلوا التحدّي في مواجهة الصّعاب فستكون أيَّامهم هازمة للصّعاب يوم بعد يومًا، وكاسرة للأوهام يومًا بعد يوم.

ولذلك فمرحلة الفكرة جعلت الإنسان يقف على المعرفة الممكّنة من كشف العلاقة بين الخَلق والنّشوء والإعجاز والارتقاء، وفتحت أمامه آفاق البحث العلمي الممكّن من صناعة المستقبل وتجاوزه وعيًا وارتقاءً.

ومع أنَّ الفكرة مولود العقل، فإنَّ مستفزّاتها خارجيّة، {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[57]، ولذلك فالفكرة لا تستمدّ من العالم الخارجي كما كان يراها أرسطو، بل العالم الخارجي هو

[57] الغاشية: 17. 21.

مصدر استفزازها، فيخرجها من الكمون إلى حيّز الوجود وكأنَّها تُبعث من العدم.

فالفكرة في ذاتها مجرّدة، ولكن في مفهومها ومضمونها تحمل رسالة، أو مشروعًا، أو رؤية، أو حلًّا يمكّن من فكّ التأزّمات، ويكسر الوهم، ويمكّن من الإقدام وعيًا؛ فالفكرة لم تكن خاطرة عابرة تأتي هكذا وتذهب وكأنَّها لم تأتِ، بل الفكرة كما تستمدّ من السّابق، فهي تضيف الجديد، ثمّ تفتح آفاق الارتقاء مع المستقبل.

ولهذا فالفكرة تُمكّن من استخراج المجهول من المعلوم، أي: تستكشف المعلوم وتخرج المجهول منه؛ فيصبح معلومًا وليس مخلوقًا، فالفكرة تستنبط وتستمدّ من المخلوق شيئًا لا ينقص من المخلوق شيئًا، وفي المقابل تزداد المعارف أشياء مستكشفة وتكسرُ أوهامًا.

والفكرة لم تولد في الخارج، بل الخارج يستفّز العقل ويُلفته إلى ما يُمكِن أن يُستكشف، فيبدأ العقل عمله تجاه المستفزّ والحيرة تلازمه حتى يبلغه، وحينها لا تجد الحيرة مكانًا لها عند المستكشف معرفة، أي: لا يمكن أن تبقى الحيرة مع التجلّي المعرفي، كما لا يبقى الوهم مع كشف الزّيف عن الحقيقة؛ ولذا فهما لا يبقيان مع بقاء الغفلة والغموض.

والفكرة تعدّ صوغًا عقليًّا لمولودٍ لم يولد بعد، وهو بعد الولادة لن يكون فكرة، بل شيئًا غيرها، ولكنَّه المؤسّس عليها، فلو لم تكن ما كان، ولهذا فالفكرة هي استنباط الشيء من الشيء بعد تهيّئه على الشّكل أو الصّورة أو الرّسالة والموضوع، ممّا يجعل المستنبط في صورة موضوع عام؛ حيث لا

تفصيل، فالتفصيل لا يكون إلّا للموضوع الذي تمدّدت الفكرة فيه بداية ونهاية، والموضوع وعيًا ودراية لا يكون إلّا المفسّر للفكرة إيضاحًا.

فبعد أنْ تطوّر الإنسان من حياة الفطرة والتقليد إلى حياة الإنباء والفكرة، أصبح يُبدع استكشافًا وليس خَلقًا؛ ذلك لأنَّ المخلوق لا يَخلق، ولكنّه في دائرة الممكن يكتشف المخلوقات، ثمّ يكتشف منها أسرارًا كانت مجهولة؛ فيكتشفها بحثًا، وتأملًا، واستنباطًا، واستقراءً، حتى يتمكّن من معرفة القوانين المنظمة لها، ثمّ يوظّفها بما يعود عليه بالمنفعة، وهكذا هي الحياة والإنسان فيها يتطوّر بالفكرة التي تكسر الوهم وتعمل على قبره، ومع ذلك لم يكن التفكير كلّه مؤسّسًا على استنباط الفكرة ارتقاءً، بل هناك من الفكرة ما يؤدّي إلى السُّفليَّة والانحدار.

ومع أنَّ الفكرة تولد في العقل البشري بداية بمستفزّات خارجيَّة، فإنَّها بعد أن تولد منه إنتاجًا تصبح وفقًا للقدرة قابلة للانتقال من عقلٍ إلى عقلٍ مع وافر التأثير، سواء أكان تأثيرًا موجبًا أم سالبًا، وعندما تكون الفكرة بنائيَّة تدفع المتلقِّين لها إلى الارتقاء، ولكن إن كانت هدّامة وهميّة فستدفع بمتلقيها إلى ارتكاب الأعمال الدُّونيّة، ومع ذلك فالعيب لا يلاحق الفكرة، بل العيب يلاحق من كان من ورائها (من أوجدها سلبيّة)، الذي فكّر فيما يضرّ في الوقت الذي ينبغي أن يفكّر فيه فيما يفيد وينفع، وهنا تكمن العلّة، أي: تكمن العلّة في أصحاب الفكرة الهدّامة سواء الذين أنتجوها، أم أولئك الذين سوّقوا لها ووظّفوها سلبيّة.

ومع أنَّ الفكرة في دائرة الممكن (بنائيّة أو هدميّة)، فإنّها بين هذا وذاك، يمكن أن تكون (إصلاحيّة)، وهذا يعني: أنَّ الفكرة البنّاءة تصحّح أخطاء الفكرة الهدَّامة متى ما كان الحوار والجدل بين النّاس موضعيًّا، ولا إمكانيَّة أن تكون الغلبة للفكرة الهدّامة كلّما ساد الحوار والجدل منطقًا (حُجّة بحجّة)؛ ولذلك فالمعلومة الصّائبة تصحّح المعلومة الخاطئة كلّما طرأت؛ ذلك لأنَّ أثر الفكرة الهدَّامة يصحّح أو يعالج بالفكرة المملؤة أملا[58].

والفكرة كونها مجرّدة فلا علاقة لها بالاقتناع من عدمه؛ فالاقتناع من عدمه مسئوليَّة من ينتج الفكرة، أو يتبنّاها، أو يأخذ بها من صاحبها أو متبنيها، فالعقل السّليم في معظم الأحيان يأخذ بأحسن الفكرة، والعقل العليل في معظم الأحيان يأخذ بأسوئها، ومع ذلك فللفكرة الحسنة مسوّقين، وللفكرة السّيئة مسوّقين، ومتى كان المسوّق على مقدرة إقناعيَّة راجت فكرته حتى وإن كانت وهميَّة أو هدميَّة، وإن لم يكن له مقدرة إقناعيَّة انكمشت فكرته وإن كانت بنائيّة، وهذه العلاقة هي بالتّمام علاقة بين من يسعى إلى الارتقاء، ومن يسعى للدّونيّة والسُّفليّة؛ أي: فمن أراد ارتقاءً فعليه أن يأخذ بفكرة الارتقاء نهضة وتقدّمًا، أمّا من أراد سُّفليَّة فأفكارها في الأسواق الهدّامة كثيرة.

ولذلك تعدّ الفكرة ارتقاءً مصدرًا للرّؤية البنائيّة، سواء أكانت رؤية فكريّة (تتعلّق بالنّظم والقوانين ورسم السّياسات، وما يؤدّي إلى الإصلاح وبلوغ الحلّ) أم إنَّها كانت عمليّة، (تتعلّق بالاقتصاد والتجربة والبناء

[58] عقيل حسين عقيل، من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي، القاهرة: 2017، ص 32.

والإعمار)؛ فالفكرة سواء أكانت نظريّة أم عمليّة، تخلق جدلًا بين منظِّر، ومسوّق، ومؤيّد، ومعارض، وتابعين مختلفين.

وعليه:

الفكرة حرّة لا تُسجن حتى وإن سُجن أصحابها ومسوّقوها، إنَّها مولود العقل الذي فكّر في إيجاد كيفيّة تسمح له بالتمدّد داخل حدوده أو خارجها على حساب الغير، ثمّ من بعدها فكّر في ما يخالفها غاية فأوجد كيفيّة تكبح السّلوك وتقيّده متى ما تمدّد على حساب الغير؛ لأنَّ الفكرة من طبيعتها التمدّد بين العقول، كما تمدّدت ارتقاءً من النّظر إلى الخَلق، إلى البحث عمّا يُمكّن من معرفة الكيفيّة التي هو عليها؛ وذلك بغاية البحث ارتقاءً عمّا يمكّن من معرفة المشاهد (هو كما هو)، ويمكّن من معرفة المعجز (آية بعد آية)، ثمّ يمكّن من بلوغ معرفة المستحيل مستحيلًا، وهكذا هي الفكرة تتمدّد بين أيدينا ارتقاء في مواجهة الوهم الذي لا يشدُّ إلَّا إلى الخلف، وقد يكون سببًا من أسباب إيقاد نار الفتنة.

ومن ثمّ فالفكرة لا تخلق الشّيء، ولكنَّها تستكشفه، ولا علاقة لها بالخَلق، فالخَلق لم يكن من الفكرة ولا من المفكّر، وإنما الخَلق بالأمر كن والعلم يأتي من بعد، ومن هنا فالخالق لا يفكّر، بل الخالق يعلم كلّ شيء، وفي المقابل الذي يفكّر هو الذي لا يعلم، ولهذا يفكّر ويبحث بغاية أن يعلم ويتخلّص من الحيرة والوهم.

ومن هنا فالفِكْرة كمفردة تتشعّب فِكَرًا، فتتمدّد في شئون الموضوع الذي يحملها في أثنائه فروعًا، فهي مثل النّواة التي تغرس في التّربة والمناخ

المناسبين لها، فتنمو شجرة ضاربة في الأرض وجذعها إلى السّماء فروعًا متفرّعة، أي: تتفرّع الفِكْرة الواحدة فِكَرًا متعدّدة التفاصيل حتى يكتمل الموضوع رسالة أو رؤية، بمعنى: تتعدّد الفِكَر المتفرّعة من الفكرة بما يمكّن من استيعاب الموضوع فِكَرا مفصّلة.

الأملُ حلًّا:

الوهم لا يخرج عن حيّز مفاهيم الأماني، والأحلام، والرَّجاءات، والخيالات، التي يوصف أصحابها بأنَّهم يتخيَّلون، ويحلمون، ويترجّون، ويتمنون، وهذه جميعها لا تتحقّق ولا يتم بلوغها، بل تظل في عقول أصحابها عالقة وبأنفسهم متعلَّقة وهمًا.

أمَّا الأملُ فتعلُّق بمأمولٍ لا يأس فيه ولا قنوط، وهو لم يكن الرّجاء ولا التفاؤل؛ ذلك لأنَّ الرّجاء توسّلي، وفيه من المطامع ما فيه، ومن يتكئ عليه يجد نفسه معتمدًا على غيره وهمًا؛ ممّا يجعله على استعداد لتقديم التنازلات وهمًا ورجاء.

وفي المقابل التفاؤل انطباع توقّعي استبشاري لمستقبل مأمول، ولكن الاستبشار قد لا يزيد عن كونه انطباعًا نفسيًّا مُرضيًا لأصحابه؛ لأنَّ مفهومه لا يحتوي الإصرار والعزيمة على بلوغ المستبشر من أجله؛ ولذا فهو شعور لا يشترط عملًا ولا جهدًا يبذل مما يجعله شعور وهمٍ لا مستقبل من بعده ولا ارتقاءً.

أمَّا الأمل فله من المعطيات والمؤشّرات ما يثبت وجود المستهدف من ورائه؛ ولهذا فلم يكن وهمًا وتخيُّلًا، بل احتمالات بلوغه في دائرة الممكن

متوقّعة بحسابات قابلة للتقييم والتقويم، وهو يستوجب حيويّة تبذل في سبيل بلوغه مع تصميم على الفوز به ونيله.

ولهذا فالأمل لم يكن مجرّد شعورٍ في ذاته، بل هو ذلك الشّعور المملوء طموحًا، وهو المرتبط بالزّمن وما يُسجّل في صفحات التَّاريخ، وهو المتعلّق بما يُمكِن إنجازه أو تحقيقه أو بلوغه، ومن هنا يرسم المتفائلون خططهم واستراتيجياتهم ويعدّون لها العدّة، ثمّ يتهيؤون لها ويتأهبون إقدامًا.

ومن ثمَّ فالآملُ قادرٌ على كسر الوهم بتحقيق نتائج مرضية على أرض الواقع؛ ذلك لأنَّه ينظر إلى المستقبل مخبأ الكنوز؛ فيسعى إليه جادًّا وهو متيقّن أن المستقبل تأتي إليه ولا يأتي إليك؛ ومن هنا يعمل كل ما من شأنه ميسّرًا لبلوغه حتى يستطيع إحداث النُّقلة المأمولة وبلوغ الحلّ، وفي المقابل الحالمون والمتمنون باقون على منصَّات الحُلم والتّمني وهمًا ينتظرون المستقبل الذي لن يأتي.

والآمل تحيّره القضايا، وتلفت انتباهه لنفسه وللآخرين خوفًا؛ فتأخذ من تفكيره حيزًا، تشغله بداية، ونهاية تجعله متهيّئًا لتقديم الحلّ المخرج من التأزّمات، أمَّا الواهمون فلا مأمولات أمامهم؛ ولهذا فهم دائمًا يسلِّمون بالأمر الواقع وإن كان وهمًا، ومن هنا فهم يسخّرون لخدمة الغير كما يشاء الغير.

ولذلك فالآمل لا يستسلم للواقع مع أنَّه لا يغفل عن أهميّته، بل يعمل على استفزازه لعلّه ينهض، فالواقع عندما يصبح قاصرًا عن إشباع الحاجات المتطوّرة فلا ينبغي الرّكون إليه، بل ينبغي نفض الغبار عنه وكسر الوهم، وكشفه كما هو، والعمل على تغييره لما يجب أن يكون عليه قمّة.

ولهذا فأقْدَام الآملين لا تقبل المشي على الغبار ورائحة المياه من جوف الأرض تنبعث، الحالمون والواهمون وحدهم فوق الغبار ينتظرون، أمّا الآملون فقد أسرعوا مشيًا وتنقيبًا في الأرض حتى تفجّرت منها العيون تنبع ذهبًا وثمرًا.

إنَّه المستقبل المأمول الذي إن لم تأتِ إليه لا يمكن أن يأتي إليك، فمن المستغرب أن تكون المياه تحت الأقدام والحالمون والواهمون والمتمنون يمشون على الغبار حفاة ولا شيء أمامهم إلَّا السَّرابَ!

وعليه: فالآمل لا يرضخ لواقع فيه من الألم والوهم ما فيه، أنّه شخصيَّة حيويّة، يسعى لما يشبع الحاجة قبل الشعور بها حاجة، ومخازن تفكيره تجعل من الثروة مخازن. إنّها المخازن المأمولة التي لا تأتي لمن قَبِل بوضع قدميه في الغبار وباطن الأرض تحتهما كنوز عظيمة.

ومع أنَّها الحياة الدنيا، فلا تنس نصيبك منها، ولا ينبغي أن تقصر مأمولك عليها؛ فهناك ما هو أعظم، وهو الآخر لا يأتي إليك إن لم تأت إليه؛ فاعمل صالحًا واتق الله في قدميك وأخرجهما من الغبار بما أنّك خُلقت مخيّرًا في كل ما يتعلّق بأمرك، ولا تفكّر في التسيير فهو بيد الله شئت أم أبيت.

كن آملًا واكسر وهم نفسك الذي إن لم تفارقه لن يفارقك إلَّا أنانيَّةً وتخلُّفًا، وإن لم تفارقه ليس لك إلّا قبول المزيد من دفع الثّمن مع وافر الحيرة والألم عند كلّ تغيّر مفاجئ؛ ولهذا فالتغيير إلى الأحسن نزهة الآملين، وفي المقابل التغيّر إلى الأسوء لا يكون منزلة إلّا للمفسدين فيها.

ولأنَّ الآمل يترقّب التغيير للأحسن فلا استغراب في قاموس أمله، بل التغيير للأفضل يحفّزه على طي المسافات مع المأمول المراد نيله، فيغتنم التغيير حيويّة مضافة.

ومن ثمّ فالآمل لا ينكسر، وإن انكسر بأيّ علّة جُبر بمأمولٍ؛ فالمأمول لا يفارق الآمل، ولهذا إذا وقع في مفاجأة واجهته يهمّ وينهض ويستأنف المسير، أمَّا الواهم إذا وقع فلا نهوض، وهنا أقول: ليس عيبًا أن يسقطك الخصم أرضًا، ولكن العيب ألّا تحسب الوقت وتهمّ وتنهض.

فالشخصيّة الآملة مع أنَّها تؤمن أنَّه لا إمكانيَّة لبلوغ المستحيل والمعجز، فإنَّها تعمل وكأنَّها واثقة من بلوغهما، ولهذا بإمكانها توليد الأمل من الأمل حتى بلوغ الخوارق. فالآمل لا يتقدّم خطوة إلّا وحسب لها ما حسب في دائرة الممكن، وعرف أين يمكنه أن يضع قدميه، وعندما يضع قدمه بداية المسير لا يمكن أن يرفع قدمه الأخرى إلّا إذا تبيّن له المكان الذي يجب أن توضع عليه، ولأنَّ خطاه ثابتة فالوهم لا يصمد أمامه.

التحدِّي حلًّا:

التحدّي حيويّة الإرادة؛ ولذا فلا إمكانيّة لصمود الوهم أمامه، ولأنَّه التحدّي فكذلك لا إمكانيّة لصمود الصّعب أمامه؛ ذلك لأنَّ الصعب لا يستطيع المواجهة، ومن ثمَّ فلا يخيف إلّا الأنانيين؛ ودائمًا التحدّي يكسر الوهم ولو كان صعبًا.

إذن: أهِّبْ نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهِّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدِّيًا، وأهِّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب

مستسلمة، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاءً أن يُنفِّذ ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى، وفي المقابل من يقبل بالركون للأنانيَّة فلا مستقبل أمامه.

ولأنَّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم فينكمش بنفسه تحت مظلّة الوهم أو الأنانيَّة.

ومن هنا تعد الصِّعاب مجموعة من المعيقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلَّا بالإزاحة، أي: لا إمكانيَّة لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تزِحْ الأوهام من السبيل المؤدّي إلى ذلك، وتنسخ الأنانيَّة بحب العمل مع الغير.

ولأنَّ الأنانيَّة والأوهام عوائق فهي قابلة لأن تزاح، ولأنّها قابلة للإزاحة، فلا داعي للانتظار، ومَن يتأخّر عن إزاحتها في شبابه سيجد نفسه متأخرًا عمّن أزاحوا مثيلاتها وتقدّموا، والصِّعاب لا تخيف، بل المخيف الوهم المعيق لتحدّيها، ومع ذلك فالصِّعاب لا تواجه الواهمين والكسالى والأنانيين، بل تواجه المتطلّعين لصنع المستقبل، فالصِّعاب إن لم تداهم تحدٍّ، تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا عن إرادة، والتحدّي لا يفارق.

ومن هنا فتهيّؤ العقل للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب،

وهكذا فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله ويكسر الأوهام وما يعشعش في العقول من أنانيَّة[59].

[59] عقيل حسين عقيل، إحداث النُّقلة تحد، القاهرة: المصرية للنشر والتوزيع، 2020، ص 14.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدكتور عقيل حسين: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (167) مؤلّفا منها: خمس موسوعات.

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركية.

المؤلّفات

1 . مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 . الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3. فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 . منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 . سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 . المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 . البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 . التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 . الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 . نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 . المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت . دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 ـ محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 ـ آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 ـ إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 ـ نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 ـ

90 ـ هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 ـ صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 ـ محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 ـ الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 ـ صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 ـ الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 ـ مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 ـ من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 ـ التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 ـ منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 ـ الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 ـ المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 ـ تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 ـ الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 ـ تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 ـ العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 ـ غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعية والإنسانية، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، 2021م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة، 2021م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2021م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية.

166 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة).

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (167) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/